بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩٤ ع ق ت

جمهورية السودان

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

كلية الدارسات العليا والبحث العلمى

بحث مقدم لنيل درجة التخصص الماجستير

بعنوان :

تفسير سورة المطففين
دراسة موضوعية

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
عمادة
مكتبة الجامعة
رقم القيد ٦٠
التاريخ ٢٠٠٩

إعداد الدارس : عثمان أحمد عبدالجليل التكينة

إشراف الدكتور : السر محمد الأمين

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
مكتبة
رقم القيد : التاريخ :

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

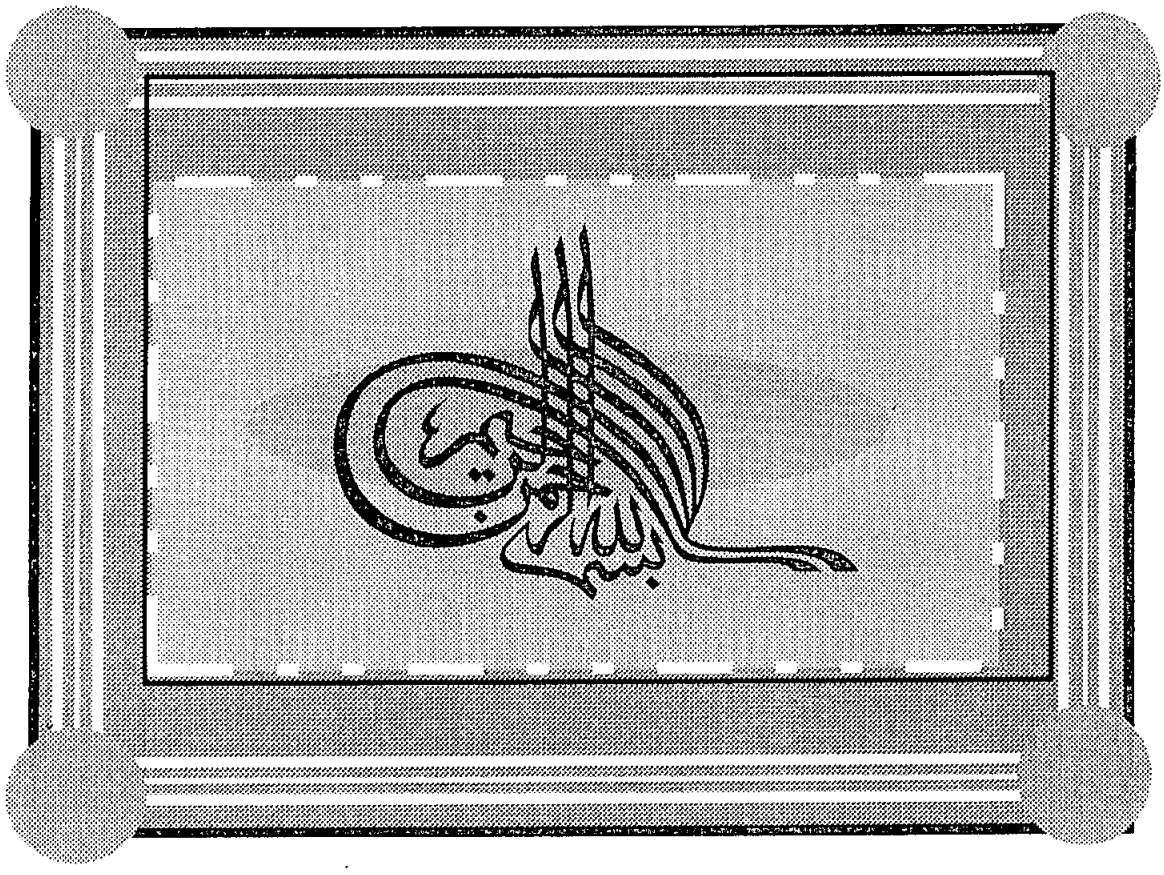
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الشباب المسلم القائم على أمر هذا الدين .. الشباب المثقف الأديب إلى الكتاب والعاملين والأبطال الشريعة الإسلامية

أهدى اليكم بحثي هذا ... آملاً أن يعيد للاسلام مجده وكرامته وأن يفتح حياة جديدة إيمانية صادقة مع الله .

إلى كل من يهمه امر هذا الدين والذين أمنوا به وصدقوا مع الله والوطن .

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله الذى من علينا برحمته وفضله / والصلاة والسلام على من لانبي بعده صاحب الرحمة الذي قال (انما انا رحمة مهداه) وعلى اله واصحابة الهداة المهتدين رضي الله عنه ورضوا عنهم ، اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون .

وبعد ،،،

فعملا بقوله صلى الله عليه وسلم (لايشكر الناس من لايشكر الله) [1] انني اتقدم بالشكر والعرفان الى المسئولين في الدراسات العلياء بجامعة القران الكريم والعلوم الاسلامية الذين اتاحوا لنا فرصة الاستزادة من العلم والتاهيل كما اتقدم بوافر شكرنا وتقديرنا للقائمين على هذا الامر ، واخص منهم المشرف حيث اكتملت هذه الرسالة على توجيهاته وملاحظاته القيمة التي انارت الطريق امامنا فوجدت فيه العالم الذي يستفاد من علمة واخلاقة فجزاه الله عنا خير الجزاء واتقدم بالشكر لكل الاساتذة الاجلاء والزملاء الذين تفضلوا بالتوجيه والنصح والارشاد والله اساله ان يوفق الجميع ويسدد خطاهم ويبارك في اوقاتهم انه سميع مجيب .

وعلى وجة الخصوص الدكتور المشرف السر محمد الامين والدكتور الشريف مدثر القطبي مناقشا .والدكتور علي عيسى الحكيم ايضا مناقشا [1]

---

[1] الحديث اخرجه الترمزيفي جامعة ٣٨/٣٣٩/٤ كتاب البر والصلة باب ماجاء في الشكر لمن احسن اليك حديث رقم ١٩٥٤ وقال هذا حديث حسن صحيح وابوداؤود في سننه ٣٥ كتاب الاداب – باب شكر المعروف حديث رقم ٤٨١١ والامام احمد في مسنده ٢٥٨/٢ حديث ابي هريرة

المقدمة

الحمد لله المبدئ المعيد الغنى الحميد ذى العفو الواسع والعقاب الشديد ، من هداه ربه فهو السعيد ، ومن أضله فهو البعيد ، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد ، يعلم ما ظهر وما بطن ، وما خفى وما علمت ، وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، قسم الخلق وجعل لهم منزلتين فريق فى الجنة ، وفريق فى السعير ، إن ربك فعال لما يريد .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [1] ، وأن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ، وأحمده تعالى على ما من به وأعطاه ، وهو أهل للحمد والشكر ، واشهد ألا إله إلا الله البر الكريم الرؤوف الرحيم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله الهادى إلى صراط مستقيم الداعى إلى دين قويم صلوات الله وسلامه عليه وآل كل على سائر النبيين وآل كل سائر الصالحين .

أما بعد ،،،

يقول الله تعالى ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [2] .

قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [3] ، وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة ، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له ، والاعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة فأنها دار نفاد لا محل إخلاد ، ومركب عبور لا منزل حبور ، ومشرع انفصام لا موطن دوام ، فلهذا كان الإيقاظ من أهلها ، هم العباد وأعقل الناس فيها هم الزهاد ، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ

---

[1] سورة فصلت ، الآية ٤٦ .

[2] سورة طه ، الآية ٢٨ .

[3] سورة الذاريات ، الآيات ٥٦ - ٥٧ .

أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ [1] والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فإذا كان حالها ما وصفته ، وحالنا وما خلقنا له ما قدمته ، فحق على المكلف أن يذهب بنفسه مذهب الاخيار ، ويسلك مسلك أولى النهى والأبصار ، ويتأهب لما أشرت إليه ، ويهتم بما نبهت عليه ، وأصوب طريق له في ذلك ، وأرشد ما يسلكه من المسالك هو كتاب الله ، لأن القرآن هو يرشدنا إلى الطريق القويم ، وهو الكلام المفضل على سائر الكلام ، لقوله تعالى ﴿أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾ [2] وقوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [3] ، وان القرآن مشتبه وغير متشابه ، وانه محكم لا نسخ فيه ، هذا ما قالة ابن عباس ، ويقول الله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ [4] .

إن الله خلق الانسان وكرمه حياً وميتاً وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، قال تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ [5] ، وأقتضت حكمة الله ألا يجعل الانسان مهملاً ، فأرسل الله الرسل تفضلاً منه ورحمة إلى الناس ، لأن العقول قاصرة ، لا توصلهم إلى معرفته بدون مرشد يوجهه ، فجاء إرسال الرسل للهداية وقطع الحجة ،

---

[1] سورة يونس، الآية ٢٤ .

[2] سورة الزمر ، الآية ٢٣ .

[3] سورة آل عمران ، الآية ٢٧ .

[4] سورة الشورى ، الآية ١٣ .

[5] سورة الاسراء ، الآية ٧٠ .

فلننظر إلى بيان الحكمة القرآنية ، قال تعالى ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [1] .

وإرسال الرسل مؤيداً بالمعجزات ، والمعجزة هي أمر خارق للعادة على وجه التحدى ، يظهره الله على يدى مدعى النبوة تصديقاً له فى دعوته .

والقرآن هو المعجزة الكبرى ، لأن الأمة العربية عجزت عن الإتيان بمثله ، بالرغم من فصاحتهم وبلاغتهم .

فقد وفقنى الله إلى كتابة هذه الرسالة البسيطة التى من الله على بها ، وأرشدنى بهدايته إلى أن أعمل عملاً أرجو أن يكون صالحاً ، وأكون من الفائزين برضاه ، أرجو أن أكون وفقت فى كتابتها ، وأن أكون هديت إلى الصواب ، وأرجو أن أكون مع الذين ذكرهم النبى صلى الله عليه وسلم فى احاديثه قال : [فو الله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم] [2] ، وقال [من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين] [3] .

والسبب الذى دفعنى لاختيار (سورة المُطَفِّفِينَ) لما فيها من علاج للناس ، حتى يسيروا سيراً شرعيا ، ويكونوا ملتزمين بمبادئهم الدينية ، وبين ذلك التحذير بهذا العنوان الذى وجهت فيه هذه الأمة ، حتى يقفوا عن ذلك لما فيها من التطفيف ، وهو النقص فى الكيل والميزان ، يأخذون بالزيادة لأنفسهم وينقصون حق غيرهم ، حتى أنزل الله قوله تعالى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) ، فحذرهم بالويل والثبور والهلاك ، وقد ذكر الله الويل لهم فى أول هذه السورة ، والويل معناه شدة العذاب ، أو معناه التخويف والتهويل .

لقد ذكر الله الويل فى القرآن فى عدد من السور ، كل ذلك حتى يقف الناس من كل ما يشين حياتهم ، ولتخويف هذه الأمة ، حتى لا تلجأ إلى الغرور والفجور وقد

---

[1] سورة النساء ، الآية ١٦٤ .

[2] عن سهل بن سعد رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه (الحديث) متفق عليه ١٣٧٩/٤ .

[3] عن معاوية رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث) متفق عليه ١٣٧٦/١ .

ذكر فى أول سورة الهمزة (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) وفى نفس السورة أى سورة المطففين فى الآية التاسعة وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ، ويقفون على كل أثم وزور وبهتان ، وخاصة الذين يكذبون بيوم الدين ، وهذا التحذير خوف من الوقوع فى المهالك حفاظاً على هذه الأمة من الآثام والشرور لكى يعتزلوا ولا يخوضوا فى الذنوب التى تبعدهم عن مولاهم لأن المعاصى تبعد الانسان عن الله والله ولى التوفيق .

المنهج الذى اتبعته فى المقدمة واختصار ما كتبته فيها :

سبب الأختيار لهذه السورة لما فيها من تعدد الاحكام والتطفيف فى الكيل والميزان منذ أن عرف الانسان التعامل فى ذلك إلى يومنا هذا حتى يرجع الناس عن غيّهم وفجورهم .

المنهج الذى اتبعته هو التفسير الموضوعى والبحث من كتب المفسرين والعلماء .

ويشتمل البحث على ثلاثة فصول :

الفصل الأول فى تطفيف الكيل والميزان

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : معنى التطفيف فى الكيل والميزان

المبحث الثانى : الكلام عن الكيل والميزان

المبحث الثالث : عقوبة المطففين

الفصل الثاني : مقابلة بين الفجارو الأبرار وأعمالهم

ويشمل المباحث الآتية

المبحث الأول : تعريف الفجار

المبحث الثانى : تعريفات أعمالهم

المبحث الثالث : عقوبة الفجار

المبحث الرابع : تعريف الابرار

المبحث الخامس : بيان أعمالهم

المبحث السادس : جزاء الابرار

الفصل الثالث : ببيان ذم الاستهزاء

وفيه مباحث ثلاث

المبحث الأول : تعريف الاستهزاء

المبحث الثاني : حكم الاستهزاء

المبحث الثالث : ذم الاستهزاء

والمنهج الذى اتبعته فى تفسير سورة المطففين هو المنهج الموضوعي وقد أضفت ما هداني الله إليه .

التمهيد

فكرة عامة عن السورة :

هذه السورة تصور قطاعاً من الواقع العملى الذى كانت الدعوة الاسلامية تواجهه فى مكة وهى ما تصوره من أولها ، من تطفيف فى الكيل والوزن إلى جانب ماكانت مستهدفة من ايقاظ القلوب .

وهذه المشاعر وهى تهدد المطففين بالويل فى اليوم العظيم (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ، وهم يكتالون لأنفسهم كاملاً وينقصون حق من يكتالون له لا يخافون الآخرة

وأن السورة سميت بهذا الاسم لما فيها من العظات والعبر وأن كل سورة أما أن يكون اسمها فى أولها أو أثنائها .

والسورة تتكون من عدد من الآيات وأنه يكون ذلك فى كتب الفواصل .

أما اثبات مكيتها أو مدنيتها والخلاف الوارد فى ذلك ، وقال القرطبى : وهى مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل ومدنية فى قول الحسن وعكرمة .

مناسبتها لما قبلها :

وهى سورة الإنفطار ابتدأت ببيان مشاهد الانقلاب الذى يحدث فى الكون من انفطار السماء وانتشار الكواكب ، وتفجير البحار وبعثرت القبور ، وما يعطى ذلك من الحساب والجزاء ثم تحدثت عن جحود الانسان وكفرانه لنعم ربه .

وهو يتلقى فيوض النعم منه جل وعلا ، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها ، ولا يعرف لربه قدرة ، ولا يشكره على الفضل والنعمة واكرامه ، ثم ذكرت علة هذا الجحود والانكار وذكرت السورة انقسام الناس فى الآخرة إلى قسمين ، أبرار وفجار ، وبينت مال كل من الفريقين ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [1] ، وختمت

---

[1] سورة الأنفطار ، الآيات ١٣ - ١٤ .

السورة الكريمة بتصوير فخامة يوم القيامة وهوله وتجرد النفوس يومئذ من كل حول وقوة ، وتفرد الله بالحكم والسلطان .

مناسبتها لما بعدها :

ومناسبتها لما بعدها وهى سورة الانشقاق وقد تناولت الحديث عن أهوال القيامة كشأن سائر السور المكية التى تعالج أحوال العقيدة الاسلامية .

ابتدأت السورة الكريمة بذكر بعض مشاهد الآخرة وصورت الإنقلاب الذى يحدث فى الكون عند قيام الساعة .

ثم تحدثت عن خلق الانسان الذى يكد ويتعب فى تحصيل اسباب رزقه ومعاشه ليقدم لآخرته ، ما يشتهى من صالح أو طالح ومن خير أو شر ثم هناك الجزاء العادل

ثم تناولت موقف المشركين من هذا القرآن وأقسمت سيلقون الأهوال والشدائد ويركبون الاخطار والأهوال من ذلك اليوم العصيب الذى لا ينفع فيه مال ولا ولد ، وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم ايمانهم بالله مع وضوح آياته وبسطوع براهينه وبشرتهم بالعذاب الأليم فى دار الجحيم ولا يحسبون لها حساب أمام أحكم الحاكمين يوم القيامة ، ثم تتحدث السورة عن الفجار يوم القيامة وعملهم المشين ، وكتابهم الذى سجلت فيه أعمالهم القبيحة ، ووضع فى سجين تحت الأرض السابعة كما ذكر المفسرون ، وعذابهم بالحجاب عن رب العالمين يوم القيامة كما حجبت الآثام قلوبهم فى الدنيا من رؤية طريق الحق واتباعه .

ثم تتحدث عن الجحيم الذى ينتظرهم مع شدة التأنيب والتنزيل

ثم تعرض السورة الصفة المقابلة وهى صفة الأبرار والنعيم الذى أعده الله لهم فى جنات النعيم والدرجات العليا ووجوهم تفيض بالبشر نضرة وجمالاً ، وهم يسقون من الشراب الذى يفضون ختامه بأيديهم وهو الرحيق المختوم برائحة المسك وقد مزج هذا الشراب من التسنيم ، وهو نهر فى الجنة للابرار خاصة ، وهم على الارائك ، هم على السرر المزينة ينظرون إلى ما أعد الله لهم من أنواع النعيم فى الجنة .

بعد هذه المقابلة بين الفجار والأبرار تتحدث الآيات الأخيرة من السورة عن العذاب والسخرية ، التى كانت تلاقى هؤلاء المؤمنين فى الدنيا من الفجار والكفرة ، المغرورين المخدوعين بالدنيا وملذاتها ونعيمها الزايل مع سوء الأدب من الفجار ، ويضع ما آلَ إليه حال الأبرار ، وحال الفجار بعد الحساب ، ومجازات كل فريق من جنس عملهم فى عالم الحقيقة الدائم الطويل ، الذى كان به الفجار يشركون ويكذبون .

الفصل الأول

تطفيف الكيل والميزان

المبحث الأول : معنى التطفيف فى الكيل والميزان

المبحث الثانى : الكلام عن الكيل والميزان

المبحث الثالث : عقوبة المطففين

الفصل الأول

تطفيف الكيل والميزان

قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

بدأت هذه السورة بمطلع مخيف ترتعد له الفرائص [1] ، وهو وعيد المطففين بالعذاب الشديد وإعلان الحرب عليهم ، لأنهم طففوا فى الكيل والوزن ، أى عملوا لأنفسهم الكثير ونقصوا من الناس ، قد أهلكهم الله بالويل والثبور لأنهم لا يخافون الآخرة ، ولا يحسبون حساباً للوقفة الرهيبة بين يدى أحكم الحاكمين .

(وَيْلٌ) والويل شدة العذاب أو نفس العذاب أو الشر الشديد أو هو واد فى جهنم ، والويل أى الهلاك والدمار للذين ينقصون فى الكيل والوزن من غير وجه حق ، وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والوزن ، فقال تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...﴾ [2] .

---

[1] الفرائص : لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترتعد من الدابة ، وجمعها فريص وفرائص ، وفى الحديث أن النبى ﷺ قال [أنى أكره أن أرى الرجل ثائراً فريص رقبته قائماً على مدينة بضربها] قال أبو عبيد : كأنه أراد عصب الرقبة وعروقها لأنها هى التى تثور فى الغضب (انظر مختار الصحاح ، مادة فرص ، ص ٤٩٨) .

[2] سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ .

وقال تعالى ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ويا قوم أوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ [2] ، وقد ذكر الله تعالى كلمة الويل في سورة المرسلات في عشر آيات ، وقال تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ [3] ، الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها ، ويدخلون الوقت في الوقت ، هؤلاء محاسبون ومسئولون أمام العلي القدير ، والويل كلمة عذاب تذكر عند وقوع البلاء يقال (ويل لك وويل عليك) ، وروى إبن حاتم [4] عن عبدالله انه وادٍ في جهنم من قيح ، وفي كتاب المفردات للراغب الاصمعي [5] : ويلٌ قرح وقد يستعمل للتحسر ، ومن قال (وَيْلٌ) وادٍ في جنهم لم يرد أن ويلاً في اللغة موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقره من النار .

الويل [6] : قيل هو التهجع ، واويلاه وإذا قال القائل واويلتاه فاذاً يعني وافضيحتاه ، وكذلك تفسير قوله تعالى ﴿يا ليتنا ما لهذا الكتاب﴾ ، وقد تجمع العرب الويل بالويلات وويله وويل له ، أكثر له من ذكر الويل ، وهما يتوايلات ، وويل هو دعاء بالويل لما نزل به قال النابغة الجعدى :

---

[1] سورة الرحمن ، الآية ٩ .

[2] سورة هود ، الآية ٨٥ .

[3] سورة الماعون ، الآية ٤ .

[4] هو أبي حاتم الرازى محمد بن المنذر بن داوود بن مهران الإمام الحافظ الناقد ، شيخ المحدثين الحنظلي القطفاني ، من تميم بن حنظلة بمدينة الرى .

[5] الاصمعي هو الإمام العلامة الحافظ ، حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبدالملك بن قريب عبدالملك بن علي بن أسمع ابن مظهر ابن عبدشمس بن أعبا بن سعد بن عبدالله بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن المصدر بن سعد بن غيث عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن ابن عدنان .

[6] أنظر لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٧٣٨ - ٧٣٩ ، دار صادر ، بيروت .

على موطن أغشى هوازن كلها

أخاً الموت كالظن رهبة وتويلا

قال ابن سيدة وأراها ليس بصحيحة ، وويل وأئل على النسب والمبالغة لأنه لم يُستعمل منه فعل ، قال إبن جنى (إمتنعوا من إستعمال فعال ، الويل والويس والويح والويب لأن القياس نفاه ومنع منه ، وذلك لأنه لو صرف الفعل من ذلك لوجب اعتلال فائه وعينه ، كوعد وباع فتحاشوا استعماله لما كان يعقب من إجماع إعلاليين .

قال إبن سيده [1] : قال سيبويه : (ويل له وويلاً له أى قبحاً الرفع على الاسم والنصب على المصدر ولا فعل له) ، وحكى تغلب ويل به وأنشد :

ويل بزيد فتى شيخ الوذ به

فلا أعشى لدى زيد ولا أرد [2]

معنى التطفيف ، النقصان وأصله من الطفيف وهو النذر الحقير والمطلق الآخر فى وزن أو كيل طفيفاً أى شيئاً حقيراً خفياً .

المطففين [3] :

التطفيف معناه الخروج عن سواء السبيل فى الكيل والميزان زيادة ونقص فهؤلاء المطففون قد توعدهم الله سبحانه وتعالى بالويل والعذاب الشديد فى الآخرة

---

[1] ابن سيده ، بحثت فلم أجد له ترجمة .

[2] وحكاه تعلب وأنشد ينسب إليه ، لم نجد له قائل بعد البحث المتكرر .

[3] لا يصح أن يكون ضميراً مرفوعاً للمطففين ، لان الكلام يخرج به إلى نظم فاسد وذلك أن المعنى إذا اخذوا من الناس استوفوا وإذا اعطوهم اخسروا ، وان جعلت الضمير للمطففين أنقلب إلى قولك ، إذا اخذوا من الناس استوفوا ، وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متناقض لأن الحديث واقع فى النقص فقط .

لأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ، فيأخذون أكثر من مالهم إذا كالوا أو وزنوا ويأخذونه كاملاً وافياً ويستوفون على حين يعطون أقل مما عليهم إذا كانوا لغيرهم

ان سورة المطففين التى بينت حال قوم شعيب عندما طففوا فى الكيل والوزن وقد بين الله عنهم فى سورة هود فى قوله تعالى ﴿... وَلا تنقصوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ انّى أراكُمْ بِخَيْرٍ وَانّى أخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ . وَيَاقَوْمِ أوْفُوا الْمِكْيَالَ والْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ اشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِى الأرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [1] .

والمطفف فى اللغة هو الذى ينقص فى الكيل والوزن .

والتطفيف هو النقصان ، واصله من المطف وهو الشئ اليسير لأن المطفف لايكاد يسرق فى الكيل والوزن إلا الشئ اليسير ، وفى الحديث [2] : (كلكم بنو آدم طَفَّ الصَّاعِ لم تُمْلَؤُهُ وهو يقرب أن يمتلئ فلا يفعل) والتطفيف هو نقص المكيال وهو الإمتلاء إلى اصطباره وطف به الفرس وثب به.

وجاء فى تفسير الفخر الرازى [3] (إعلم أن إتصال أول سورة المطففين بآخر سورة الإنفطار المتقدمة عليها فى آخرها أن يوم القيامة من صفته انه ﴿لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [4] ، فلهذا أتبعه بقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ والمراد الزجر عن التطفيف وهو البخس فى المكيال والميزان بالشئ

---

[1] سورة هود ، الآيات ٨٤ - ٨٥ .

[2] انظر مختار الصحاح ، للشيخ محمد بن ابى بكر عبدالقادر الرازى ، ومحمود خاطر ، الناشر الحديث بجوار إدارة الازهر ، ج١ ، ص ٣٩٤ .

[3] تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب ، للإمام فخرالدين العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى الجزء السادس عشر ، ص ٨٨ - ٨٩ ، دار الفكر ، بيروت ٥٤٤ - ٦٠٤هـ .

[4] سورة الإنفطار آخرها .

القليل على سبيل الخفية وذلك لأن الكثير يظهر فيمنع منه ، وذلك القليل إن ظهر أيضاً يمنع منه ، وفى إشتقاق لفظ المطفف قولان :

الأول : أن طف الشئ هو جانبه وحرفه ، يقال طف الوادى والإناء إذا بلغ الشئ الذى فيه حرفه ، ولم يمتلى فهو طَفافه وطِفافه .

المطففين فى اللغة طفاف ملئات واطفة وطففه اخذ ما عليه وقد اطففته ويقال هذا طف المكيال وطَفافه وطِفافه إذا قارب ملئه ولما تملأ ولهذا قيل للذى يسئ الكيل ولا يؤفيه مطفف يعنى انه انما يبلغ به الطفاف والطفافة ما قصر عن ملئى الإناء من شراب وغيره وفى الحديث (كلكم بنوا آدم طف الصاع لم تملؤه)[1] وهو يقرب انه يمتلئ فلا يفعل .

قال بن الأثير : المعنى كلكم فى الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة فى النقص والتقاصر ، من غايت التمام وبينهم فى نقصانهم بالكيل الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال ، ثم علمهم ان التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى ، وفى حديث آخر كلكم بنو آدم طف الصاع قريب من ملئة فليس لأحد أن يقرب الاناء من الامتلاء ويصدق هذا قوله) [2] ، المسلمون تتكافأ دماؤهم والتطفيف فى المكيال أن يقرب الإناء فى الإمتلاء ، ويقال هذا طف المكيال وطَفافه وطِفافه وفى الحديث من السَّرَانيل حتى كأنه طفاف الأرض أى قربها وطفاف الليل وطِفافه سواده .

عن أبى العميثَل الإعرابى والطفاف سواد الليل

---

[1] لسان العرب ، الجزء التاسع ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ ، دار الاصدار ، بيروت .

[2] تخريج الحديث روى هذا الحديث بن عمر ورواه البخارى ، ص ٤٤٣ .

عقبـــــان دجـــــن بـــــادرة طفافـــــا

صيـــــداً وقـــــد عـــــاينت الأصوافـــــا

فهـــــى تضـــــم الريـــــش والأكتافـــــا

وطفف على الرجل إذا اعطاه أقل مما أخذ منه ، والتطفيف البخس فى الكيل والوزن ونقص المكيال وهو الامتلاء إلى اصطباره ، وفى حديث ابن عمر حيث ذكر أن النبى ﷺ سبق بين الخيل كنت يؤمئذ فسبقت الناس حتى طفف فى قهى الفرس مسجد بنى زريق حتى كاد يساوى المسجد .

المبحث الأول

معنى التطفيف فى الكيل والميزان

المبحث الأول

معنى التطفيف فى الكيل والميزان

هو تتبع المسائل حتى نعرف ذلك العلاج الناجع لأجل أن نكون أدركنا ذلك ، وعلمنا هذا الحق فنقف عن التطفيف .

كان الأسلام فى البيئة المكية يواجه حالة صارخة من هذا التطفيف يزاولها الكبراء ، الذين كانوا فى الوقت ذاته هم اصحاب التجارات الواسعة التى تكاد تكون احتكاراً فقد كانت هناك أموال ضخمة فى ايدى هؤلاء الكبراء

والنصوص القرآنية تشير بأن المطففين الذين تهددهم الله بالويل ويعلن عليهم هذه الحرب ، كانوا طبقة الكبراء ذوى النفوذ الذين يملكون إكراه الناس على ما يرون ، فهم يكتالون على الناس لا من الناس ، فكان لهم سلطان على الناس بسبب من الأسباب يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم استيفاء وقسراً ، وليس هو أنهم يستوفون حقاً وإلا فليس فى هذا ما يستحق اعلان الحرب عليهم ، أنما المفهوم انهم يحصلون بالقسر أكثر من حقهم ويستوفون مايريدون اجباراً فإذا كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس ، دون أن يستطيع هولاء منهم نَصَعَه ولا استيفاء حق ، ويستوى أن يكون هذا سلطان الرئاسة والجاه أم سلطان المال وحاجة الناس لما فى أيديهم منه واحتكارهم للتجارة حتى يضطر الناس إلى قبول هذا الجور

منهم ، كما يقع حتى الآن فى الاسراف ، فقد كانت هنالك حالة من التطفيف صارخة استحقت هذه اللفتة المبكرة [1] .

وقوله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فى تفسير الشوكانى [2] المطفف المنقص ، وحقيقته الأخذ فى الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً أى نذراً حقيراً ، قال أهل اللغة : المطفف مأخوذ من الطفف ، وهو القليل فالمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن وقال الزجاج [3] : إنما قيل للذى ينقص المكيال والميزان مطفف لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان إلا الشئ اليسير الطفيف وقال أبوعبيده والمبرد [4] المطفف الذى يبخس فى الكيل والوزن ، قال الكلبى [5] قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ، ويستوفون لأنفسهم فنزلت هذه الآية ، وقال السدى [6] : (قدم النبىﷺ المدينة ، وكان بها رجل يقال له أَبُو جهينة ، ومعه صاعان يكيل باحداهما ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) .

---

(1) تفسير فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، المجلد السادس ، الاجزاء ٢٦ - ٣٠ طبعة جديدة مشروعة دار الشروق ، بيروت ، ص ٣٨٥٤ .

(2) الشوكانى ، هو محمد بن على بن محمد الشوكانى ، المجلد الخامس ، فتح القدير ، الجامع بين فنى الرواية والدراية ، من علم التفسير ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ويل مبتدأ ..... الابتداء كونه دعاء ولو نصب لجاز ، قال مكى والمختار فى ويل وشبهه إذا كان غير مضافاً الدفع ويجوز النصب فإن كان مضافاً أو معرفاً كان الاختيار فيه النصب نحو قوله تعالى (لا تفتروا على الله كذباً) وللمطففين خبره ، الاجزاء ٢٦ - ٣٠ ، ص ٣٩٨ .

(3) قال الزجاج فى فتح القدير ، ص ٣٩٨ ، وفى تفسير الفخر الرازى ، ص ٨٨ - ٨٩.

(4) المبرد : هو إمام النحو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الاذدى البصرى النحوى الإخبارى صاحب الكامل .

(5) الكلبى : قال فى تفسير الشوكانى ، ص ٣٩٨ .

(6) السدى : هو اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كرمة الإمام المفسر أو محمد الحجازى ثم الكوفى الأعور السدى أحد موالى قريش ، حدث عن أنس بن مالك وابن عباس وعبد خير الهمدانى ومصعب ابن مسعد وابى صالح حازم .

وقال الفراء [1] : هم بعد نزول هذه الآية أحسن الناس كيلاً إلى يومهم هذا ثم بين سبحانه وتعالى المطففين من هم ؟ فقال الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، أى يستوفون الإكتيال والأخذ بالكيل ، قال الفراء يريد أكتالوا من الناس [2] .

روى ابن القاسم [3] عن مالك [4] انه قرأ (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) لا تعطف ولا تخلب ولكن أرسل يدك وصب على صباً ، حتى إذا استوفى أرسل يدك ولا تمسك ، وقال عبدالملك بن الماجشون [5] : نهى رسول الله ﷺ عن مسح الطفاف ، وقال إن البركة فى رأسه ، قال وبلغنى أن كيل فرعون كان مسحاً بالحديد [6] ، وقال الرازى فى تفسيره ، يا إبن آدم أوفى الكيل كما تحب أن يوفى لك وأعدل كما تحب أن يعدل لك ، وعن الفضل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة .

---

(1) الفراء ، هو احد نحاة الكوفة وائمتها المشهورين فى اللغة واسمه يحيى بن زياد الديلمى ، ويكنى ابا زكريا له كتاب فى معانى القرآن توفى سنة ٢٠٧هـ (انظر طبقات الزبيدى ١٤٣ - ١٤٦) ووفيات الأعيان ٣٢٦١ ، رقم ٦ .

(2) وعلى ومن فى هذا الموضع يتصفان يقال أكتلت منك أى استوفيت منك ، وتقول اكتلت عليك اى اخذت ما عليك

(3) تلميذ الإمام مالك وانه كان رجلاً ثرياً بالمال وسبب تعليمه يروى أنه كان ذات مره جاء راكباً على فرسه فقابلته امراة وعندما رأت عليه هيئة العلماء سألته عن مسألة فى الحيض ، ولم يستطع أن يرد عليها ، فقال لها انتظرينى حتى أحضر اليك ، وتألم اشد الألم ماذا يقول لها ، فذهب وترك جميع أعماله ثم ذهب يطلب العلم ، فذهب إلى مجلس الامام مالك وأصبح يدرس مع الطلاب وانه كان فى بعض الأوقات يتقدم ببعض النفقة للطلاب فكان يدفع المبلغ الكثير ، فكان يسأل الامام مالك فيقولون له ابن القاسم وانه اجتهد حتى صار من العلماء ، وكانت مسألة كلها صحيحة ماعدا مسألتان ، حتى صار مجتهداً فى مذهب الامام مالك (الأعلام)

(4) مالك بن أنس بن مالك الاصبحى الحميرى ، إمام دار الهجرة واحد الأئمة الأربعة عند السنة واليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته فى المدينة كان صلباً فى دينه بعيداً عن الأمراء والملوك وشى به إلى جعفر غم المنصور العباسى فضربه سباطاً إنخلع له كتفه ووجه إليه الرشيد العباسى ليأتيهي فيحدثه فقال العلم يؤتى فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار فقال مالك : يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله ﷺ اجلال العلماء فجلس بيت يديه فحدثه .

(5) عبدالملك بن الماجشون هو العلامة الفقيه مفتى المدينة أبو مروان عبدالملك ابن الامام عبدالعزيز بن عبدالله ابن أبى سلمة بن الماجسون التيمى مولاهم المدنى المكى تلميذ الإمام مالك حدث عن أبيه وخاله يوسف بن يعقوب الماجسون ومسلم الزنجى ومالك وإبرأهيم بن سع وطائفة .

(6) الأساس فى التفسير لسعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، المجلد الأول ، ص ٥٢ .

ولقد أدرك الذين بايعوا رسول الله ﷺ من نقباء الأوس والخزرج بيعة العقبة الثانية قبل الهجرة ، قال إبن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نضله الأنصارى أخو بنى سالم بن عوف : يا معشر الخزرج هل تدورن على ما تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل اسلمتموه فمن الآن ! فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قال فإنا ناخذه على مصيبة الأموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان إن نحن وفينا ؟ قال (الجنة) .. قالوا : أبسط يدك فبسط يده فبايعوه .

فقد أدرك هؤلاء الخزرج ، كما أدرك كبراء قريش من قبل طبيعة هذا الدين ، وأنه قائم كحد السيف العدل والنصفة وإقامة حياة الناس على ذلك ، لايقبل من طاغية طغياناً ، ولا من باغ بغياً ، ولا من متكبر كبراً ، ولا يقبل للناس الغبن والخسف والاستقلال [1] .

وعن إبن عمر : قال رسول الله ﷺ [الوزن [2] وزن أهل مكة والميكال [3] مكيال أهل المدينة] [4] .

---

[1] فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، الاجزاء ٢٦ - ٣٠ .

[2] الوزن : المعتبر لأهل مكة لأنهم أهل تجارات ، فعدهم بالموازين وعلمهم بالأوزان أكثر .

[3] الكيال : ميكال أهل المدينة لأنهم أصحاب زراعات فهم أعلم بأحوال المكاييل .

[4] الحديث فى سنن أبى داوود الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ ، ص ٣٢٠ ، صنفه وجمعه الإمام الحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدى السجستانى رحمه الله تعالى .

قال الزجاج : لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ومن الناس من يجعله توكيداً للضمير المستكن فى الفعل ، فيجيز الوقف على كالوا أو وزنوا ، قال أبوعبيد : وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين ، ويقف على كالو أو وزنوا ، ثم يقول هم يخسرون ، قال وأحسب قراءة حمزة كذلك ، قال عبيد : والاختيار كما ذكرنا من كلمة واحدة من جهتين : إحداهما الخط ، ولذلك كتبوها بغير الف ، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالألف ، والأخرى أنه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك ، وهو كلام عربى ، كما يقال صدتك ، وصدت لك ، وكسبتك وكسب لك ، ونحو ذلك ، وقيل على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، المضاف المكيل ، والموزون : أى كالوا مكيلهم ، أو وزنوا موزونهم ، ومعنى يخسرون ينقصون كقوله تعالى ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [1] ، والعرب تقول خسرت الميزان وأخسرته وقال تعالى ﴿ولا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [2] .

قال الزجاج [3] : إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ولم يذكر نزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع ، فأحدهما يدل على الآخر ، قال الواحدى : قال المفسرون كابن عباس والفراء : إذا اشتروا فى أنفسهم استوفوا فى الكيل والوزن ، وإذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا ، وهو معنى

---

[1] سور الرحمن ، جزء الآية ٧ ، وأقيموا الوزن بالقسط .

[2] سورة هود ، الآية ٨٥ .

[3] فتح القدير ، للزجاج ، ص ٣٩٨ ، المجلد الخامس .

قوله تعالى ﴿إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ، أي كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ فحذفت اللام فتعدى الفعل إلى المفعول ، فهو من باب الحذف والايصال ، ومثله نصحتك ونصحت لك ، كذا قال الأخفش[1] والكسائي والفراء .

قال الفراء : وسمعت أعرابية تقول : إذا صدر الناس آتينا التاجر فيكيلنا المُدَّ والمدين إلى الموسم المقبل ، قال المفسرون كابن عباس والزجاج وغيرهم نزلت هذه السورة في رجل يعرف بأبي جهينة كان له صاعان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص ، وهو وعيد لكل من طفف الكيل والوزن وقد أهلك الله قوم شعيب لبخسهم الكيل والميزان وفي الحديث (ولاطففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين) [2] .

وقال السدى [3] : ايضاً انها نزلت في رجل بالمدينة كان يكنى (أبا جهينة) وعن ابن عباس روايات فأخرج ابن الضريس انه قال آخر ما نزل بمكة سورة المطففين وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ واخرج ابن مردويه والبيهقي عنه انه قال أول ما نزل بالمدينة سورة المطففين ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه النسائي وابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح وغيرهم [4] .

حديث بن عباس [5] وفي رواية عنه وعن قتادة [6] أنها مكية إلا ثمانية آيات من آخرها ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ....﴾ إلى آخر السورة ، وقيل أنها مدنية

---

[1] الأخفش : هو امام النحو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البخلي ، ثم البصري مولى مجاشع أخذ عن الخليل بن أحمد ولزم سيبويه حتى بدع .

[2] هذا جزء من حديث اخرجه الحاكم والطبراني عن بن عباس مرفوعاً في أنظر الأولويسي ، الجزء الثالث ، ص ٧١ .

[3] قال السدى في فتح القدير ، المجلد الخامس ، ص ٣٩٨ ، للشوكاني .

[4] حديث سبق ذكره ، أخرجه النسائي وابن ماجة والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح .

[5] حديث ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا اخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكليل بعد ذلك .

[6] قتادة هو ابن دعامة بن أبي الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه ، والحافظ المفسر الذي وصفه الامام أحمد بقوله (قتاده احفظ أهل البصرة) ، توفي بالطاعون سنة ١١٨هـ .

إلا ستة آيات من أولها ، وبعض من يثبت الواسطة بين المكى والمدنى ، يقول أنها ليست احداهما بل نزلت بين مكة والمدينة قبل ورود رسول الله ﷺ ، والتقويم فى افتتاحية هذه السورة بالويل للمطففين يشعر بشدة خطر هذا العمل وهو فعلاً خطير لأنه مقياس إقتصاد العالم وميزان التعامل فإذا اختل احدث خللاً فى اقتصاده وبالتالى اختلال فى التعامل وهو فساد كبير وأكبر من هذا كله وجود الرياء إذا بيع جنس بجنسه وحصل تفاوت فى الكيل أو الوزن [1] ، وقال تعالى ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ .

فقد أدرك هؤلاء كما أدرك كبراء قريش من قبل البيعة أى بيعة هذا الدين وانه قائم كحد السيف للعدل والنصفة واقامت حياة الناس على ذلك لا يقبل من طاغية طغياناً ولا من باغ بغياً .

والتطفيف معناه الخروج عن سواء السبيل فى الكيل والميزان ، زيادة ونقص ، فهؤلاء المطففون قد توعدهم الله سبحانه وتعالى بالويل والعذاب الشديد فى الآخرة لأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل فيأخذون أكثر من مالهم إذا كالوا أو وزنوا ويأخذوه كاملاً وافياً ويستوفون على حين يعطون أقل مما عليهم إذا كالوا لغيرهم .

انهم ائتمنوا فخانوا الامانة ، ووضع فى أيديهم ميزان الحق ، فعبثوا به واستخفوا بحرمته ، وإذا كالوهم أو وزنوهم بدون حرف الجر .

قيل كان أهل المدينة اخبث الناس كيلاً ووزناً قبل الاسلام فلما جاء الاسلام وكشف لهم سوء نواياهم ، وما يجرى على مقترفيه من نقمة الله

---

[1] تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين إبن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، الجزء التاسع ، الثانى من التتمه من عمل تلميذه عطيه محمد سالم ، ص ٩٢ - ٩٥ ، عالم الكتب ، بيروت .

وعذابه ، أصبحوا اعدل الناس كيلاً ووزناً إلى اليوم . والقول أن هذه السورة هى أخر ما نزل بمكة ، اولى من القول بأنها نزلت بالمدينة ، وذلك بأن نزولها بالمدينة ، وفى اول مقدم النبى ﷺ إليها فيه مواجهة بالخزى والفضيحة والتشنيع على هؤلاء القوم الكرام الذين إستجابوا لدين الله ، ورصدوا أنفسهم وأموالهم لنصرته وفتحوا مدينتهم ودورهم لأيواء المسلمين الفارين بدينم من مشركى قريش ، وان الذى يتفق وأدب الاسلام وحكمته لعلاج هذا الأمر المنكر الذى قيل انه كان فاشياً من أهل المدينة .

الذى يتفق مع أدب الاسلام ، وحكمته أن يعلن رأيه فى هذا الامر وحكمه على فاعليه بعيد عن موقع المواجهة وان يرمى به فى وجوه المشركين قبل ان تنتقل الدعوة من ديارهم ، حتى إذا بلغت سورة المطففين اسماع أهل المدينة انخلعوا من هذا المنكر واستقبلوا رسول الله وقد طهرت مدينتهم من هذا الخبث والخيانة فى الكيل والميزان ليس كما يبدوا فى ظاهرها أمراً عارضاً ، هماً لا يمس إلا جانباً من حواسى حياة الجماعة ولا يؤثر تأثيراً ذا بال فى نظام حياتها ، كلا فإن هذا الداء إذا تفشى فى مجتمع من المجتمعات أفسد نظامه كله ، وامتد ظله الأسود الكئيب على حياة المجتمع مادیتها ومعنوياتها جميعاً ويقول ان حياة الأمة مهما كانت فإنها قائمة على التبادل والأخذ والعطاء ، فإذا لم يقم ذلك بينهم على ثقة متبادلة بينهم ، كما يتبادلون كل شئ إنحل عقد نظامهم ، وتقطعت عرى أوثق رابطة تربط بين الناس ، وتجمع بعضهم إلى بعض وهى الثقة وفى القرآن الكريم اشارة صريحة إلى خطورة التبادل القائم بين الناس أخذاً وعطاءً ، والذى إذا لم يقم على اساس متين من العدل والأحسان ، وهذا ما نراه فى دعوة نبى الله شعيب ورسالته

فى قومه[1] انها رسالة تعالج هذا الداء الذى استشعرى فى القوم وتطب به ، قبل داء آخر بعد داء الكفر ، فإنه لا يقوم بناء ولا يستتبت خير ، إلا إذا أقتلع هذا الداء وطهرت منه الأرض التى يراد اصلاحها .

وجاء فى تفسير القرآنى للقرآن [2] نزلت سورة المطففين بمكة بعد العنكبوت وهى آخر ما نزل بمكة وأول ما نزل بالمدينة أجملت سورة الانفطار التى سبقت المطففين مصير الفجار ومصير الأبرار ، فجاءت سورة المطففين مفصلة شيئاً من هذا المصير كما جاءت كاشفة مبينة عن وجوه من فجر الفجار ، كالتطفيف فى الكيل والميزان والتكذيب بيوم الدين ، والاتهام برسول الله ﷺ ولآيات الله .

عنيت هذه السورة كسائر السور المكية بأمور العقيدة ، خاصة أحوال يوم القيامة وأهوالها وعنيت بأمور الأخلاق الاجتماعية وهى هنا تطفيف الكيل والميزان ,

وجاء فى تفسير أبى طاهر محمد بن يعقوب [3] : أن سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة فى مهاجرته ﷺ إلى المدينة فأستتمت بالمدينة آياتها ستة وثلاثون آية وكلماتها مئة وتسعة وستون وحروفها سبعمائة وثلاثون حرفاً هذا ما ذكره ابن عباس وخاصة بأسناده عنه فى قوله تعالى (ويل للمطففين) المطففون هم أهل المدينة قبل مجئ الرسول ﷺ بالكيل والميزان ، حتى

---

[1] سورة هود ، الآية ١٨١ .

[2] تفسير القرآنى للقرآن تفسير عبدالكريم الخطيب ، المجلد الثامن ، ٢٩ - ٣٠ ، دار الفكر العربى ، ص ١٤٨٧ ، ملتزم الطبع والنشر لايوجد تحديد للطبع .

[3] المقياس من تفسير ابن عباس ، تفسير أبى طاهر محمد بن الفيروز آبادى الشافعى المتوفى سنة ٨١٧هـ ، طبعة مزيدة ومنقحة ، دار الاشراق الطبعة الأولى ، بيروت ، ص ٨٥٧ - ٥٨٨ ، الجزء ثلاثين

نزلت تلك الآية ، فعندما نزلت رجعوا وأحسنوا الكيل والوزن ، لانهم كانوا يكيلون ويطففون فى كيلهم ، وأهل مكة يزنون فبين الله لهم الويل وشدة العذاب والهلاك ، والتطفيف يكون فى الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك .

قدم الألوسى فى روح المعانى [1] لسورة المطففين يقال لها سورة المطففين ، واختلف فى كونها مكية أو مدنية يقول انها مكية فهى آخر سورة نزلت بمكة كما فى قول بن مسعود [2] والضحاك [3] ومقاتل [4] وهى مدنية فى قول عكرمة [5] والحسن [6] .

ولئن كان التطفيف فى الأصل خلقا من أخلاق الكافرين والمنافقين ، فقد يواقعه المسلم وعليه أن يرجع ويتوب إلى الله وان يرد الحقوق إلى اصحابها أن عرفهم وإلا فليتصدق ، وليدع وليستعفف بعد أن حدثنا الله عز وجل .

---

(1) روح المعانى ، دار احياء التراث العربى تفسير القرآن العظيم الجزء السابع عشر ادارة الطباعة ، ص ١٧ - ١٨ ,

(2) عبدالله بن مسعود بن غافل الهزلى صحابى جليل من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً ومن السابقين إلى الاسلام أول من جهر بالقرآن بمكة المكرمة كان من المقربين إلى رسول اله ﷺ والملازمين له ، وصاحب بره ورفيقه فى حله وترحاله وولى بيت المال بالكوفة لعمر وعثمان رضى الله عنهما ، وقدم فى أواخر عمره المدينة ومات فى خلافة عثمان سنة ٣٢هـ أنظر البخارى ، الجزء ٧ ، ص ٦٢ ، كتاب فضائل الصحابة الجزء ٢٧ ، باب مناقب بن مسعود ، ص ١٠٣ .

(3) الضحاك هو مزاحم أبو القاسم (ويقال أبو محمد) خرسانى روى عن بن عمر وبن عباس وابى هريرة وقيل لم يثبت له سماع ابن حجر نقلاً عن أبى قدامة عن يحيى القطانى ، تساهلوا فى أخذ التفسير عن قوم ، فى الحديث ثم ذكر الضحاك وجبير ومحمد ابن السائب تفسير الطبرى (أنظر ترجمة الجزء ٤/٢٠٥ - ٤٥٣ من تهذيب التهذيب .

(4) مقاتل هو بن سليمان بن بشير الازدى الخرسانى أو الحسن البلخى صاحب التفسير الذى قال فيه الامام الشافعى ، الناس عيال فى التفسير الجزء ٤ ، ص ١٧٢ .

(5) عكرمة هو الحبر العالم أبو عبدالله البربرى المدنى مولى عباس رضى الله عنهما روى عن مولاه وعائشة وأبى هريرة وغيرهم توفى عام ١٠٧هـ .

(6) الشوكانى ، سبقت ترجمته ، ص (١٠) من هذا البحث .

بعد أن ذكر الله يوم الجزاء وعظيم شأنه ، ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخبث ما يقع من المعصية وهى التطفيف الذى لا يكاد يجدى شيئاً فى تفسير المال وتنميته ، إذا اكتالوا على الناس قبضوا لهم ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ أقبضوهم .

وقال الفراء [1] : من وعلى يتعقبان هنا أكتلت على الناس وأكتلت من الناس ، فإذا قال اكتلت منك ، فكأنه قال استوفيت منك ، وإذا قال اكتلت عليك ، فكأنه قال اكتلت ما عليك ، والظاهر أن على متعلق بأكتالوا لما قررناه وقال الزمخشرى[2] لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكانه من للدلالة على ذلك ، يجوز أن يتصلوا يستوفون أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها ، وكال ووزن مما يتعدى بحرف الجر ووصل الفعل فتقول كلت لك ووزنت لك ، ويجوز حذف اللام كقولك نصحت لك ونصحتك وشكرت لك وشكرتك والضمير ضمير نصب .

وإِذَا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يقول الطبرى [3] ، وإذا هم كالوا الناس أو وزنوا لهم ، ومن وجه الكلام إلى هذا المعنى جعل الوقف على هم ، وجعل هم فى موضع نصب وكان عيسى بن عمر [4] فيما ذكر عنه يجعلها حرفين ويقف على كالوا

---

[1] الفراء هو الشيخ العالم الثقة أبو الحسن على بن الحسين ابن عمر الفداء الموصلى ثم المصرى وهو أحد نحاة الكوفة وأئمتها المشهورين فى اللغة واسمه يحيى بن زياد الديلمى ، ويكنى ابا زكريا ، له كتاب فى معانى القرآن توفى سنة ٢٠٧هـ (انظر طبقات الزبيدى ١٤٣ - ١٤٦ ، وفيات الأعيان ٣٢٦/٢ .

[2] هو محمود بن عمر بن محمد العلامة أبو القاسم الزمخشرى النحوى اللغوى المعتزل المعز ، الملقب بجاد الله لمجاورته لبيت الله ، مؤلفاته منها الفائق فى غريب الحديث ، وأساس البلاغة ، والمفصل فى النحو ، وكتابه الذى اشتهر به (الكشاف) فى علم التفسير ، عاش فى الفترة (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) ٧١/٣ .

[3] الطبرى هو أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ١٣٠هـ (جامع البيان فى تأويل آي القرآن ، الجزء الثلاثون ، دار الفكر ، ص ٩٠ - ٩٢) .

[4] هو الامام عيسى بن عمر المقرى العابد أبو عمر الهمدانى الكوفى عرف بالهمدانى وانما هو من موالى ابن اسد .

وعلى وزنوا بألف فاصلة ، ثم يبتدئ هم يخسرون ، ضمن هذا الكلام جعل هم في موضع رفع ، وجعل كالوا ووزنوا مكتفيين بأنفسهم ، قالوا هم يخسرون : يقول ينقصونهم ، وقوله تعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ فكأنه قال ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون يوم يقوم الناس من قبورهم وقد يجوز نصبه وهو بمعنى الخفض لأنها إضافة غير محضة ، ولو خفض رداً على اليوم الأول لم يكن لحناً ، ولو رفع جاز والدليل على ذلك قول الله في سورة هود عندما كان قوم شعيب نقضوا المكيال والميزان فأنزل الله ﴿وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [1] ، وفي سورة الشعراء الآية ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [2] .

وفي سورة الانعام قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا...﴾ [3] .

---

[1] سورة هود ، الآية ١٨١ .

[2] سورة الشعراء ، الآية ١٨١ - ١٨٢ .

[3] سورة الأنعام ، الآية ١٥٢ .

المبحث الثاني

الكلام عن
الكيل والميزان

المبحث الثانى

الكلام عن الكيل والميزان

قد ذكر الله ذلك فى هذه السورة تلك الملامح السريعة التى يرتبط بها هؤلاء الناس لينجوا من ذلك العذاب ، كما أن هذه اللفتة المبكرة فى البيئة المكية تشير بطبيعة هذا الدين ، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشؤونها العملية ، وإقامتها على الأساس الاخلاقى الأصيل فى طبيعة هذا المنهج الإلهى القويم ، فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والانحراف الاخلاقى فى التعامل ، وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الاجتماعية ، لينظمها وِقْفَ شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة ، وارسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين ، وهم يؤمئذ سادة مكة أصحاب السلطان المهيمن ، فكان الأسلام بهذه الصيحة المنبعثة من ذاته ومن منهجه السماوى موقظاً للجماهير المستغلة ولم يكن قط محذراً لها حتى وهو محاصر فى مكة ، بسطوة المتجبرين ، المسيطرين على المجتمع بالمال والجاة والدين .

ومن ثم ندرك طرفاً من الأسباب الحقيقية التى جعلت كبراء قريش يقفون فى وجه الدعوة الاسلامية هذه الوقفة العنيدة فهم كانوا يدركون - ولا ريب- ان هذا الأمر الجديد الذى جاءهم به محمد ﷺ ليس مجرد عقيدة تكمن فى الضمير ، كلا لقد كانوا يدركون أن هذه العقيدة تعنى منهجاً يحطم كل أساس الجاهلية التى تقوم عليها أوضاعهم ومصالحهم ومراكزهم .

والطغاة البغاة الظلمة المطففون ، فى أية صورة من صور التطفيف فى المال أو فى سائر الحقوق والواجبات – هم الذين يشفقون أكثر من غيرهم من سيطرة ذلك المنهج العادل النظيف الذى لا يقبل المساومة ، ولا المداهنة ، ولا أنصاف الحلول [1] .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [2] ، وروى أن أهل المدينة كانوا أبخس الناس كيلاً فنزلت فأحسنوا الكيل والوزن ، وفى الحديث خمس بخمس (ما نقض العهد قوم إلا سلط عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشاء فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشاء فيهم الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا وحبس عنهم المطر) [3] .

الذين إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون .

حذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جئتك أكمؤا وعساقلا ، بمعنى جئتك أكمؤا وعساقلا ، بمعنى جئت لك أوكالو مكيلهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ولا يحسن حصل المنفصل تأكيداً المتصل بأنه يخرج الكلام عن مقابلت ما قبله المقصود بيان اختلاف حالهم فى الأخذ والرفع لا فى المباشرة ؛ وعدمها ، ويستدعى اثبات الألف بعد الواو [4] .

---

[1] فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، المجلد السادس ، الاجزاء ٢٦ – ٣٠ ، طبعة جديدة مشروعة .

[2] سورة المطففين الآية ٣ .

[3] الشيخ البيضاوى فى تفسيره للقرآن ، الجزء ٤/١٣٣ – ١٣٢ .

[4] تخريج الحديث أخرجه الحاكم ، والطبرانى [illegible] مرفوعاً رواه الترمذى ، ابن ماجه [illegible]

الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون الخ ، صفة مخصصة للمطففين الذين نزلت فيهم الآية أو صفة كاشفة لحالهم شارحة لكيفية تطفيفهم الذين استحقوا به الويل ، أى إذا اخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلاً يأخذونه وجاء فى تفسير الصاوى على الجلالين [1] ، أن فى هذا الآية ذم التطفيف والخيانة فى الكيل والوزن ، أى لأنه منكر فهو من المحظورات أشد الحظر ، لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل فى الأخذ والدفع ولو فى القليل لأن من دنؤة نفسه إلى القليل دل على فساد طويته وخبس ملكته وإثمه لا يقعده عن التشوب إلى الكثير إلا عجز أو رقابه ، قال ابن جرير وأصل التطفيف والتمام فى كيل أو وزنا ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء فى عددهم سواء كطف الصاع ، يعنى بذلك كقرب الممتلئ منه .

وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان فى عدة آيات كما سبق ذكرها ، ومن الحيل التى كانوا يفصلونها بكبس المكيال أو تحريك المكْيال أو نحو ذلك ، ومثل الاكتيال الإتزان فيما يوزن والزرع فيما يزرع وإذا كالوهم أى كالوا لهم المكيل أو وزنوا لهم الموزون للبيع ونحوه ينقصون فى الكيل والوزن ، عندما نزلت هذه السورة أبطلت عمل العرب ، وقد عظم الله أمر الكيل والوزن ولإبتناء المعاملات عليها والناس لا يستغنون عنهما والطفيف فيهما خيانة واعتداء على الحقوق ومبنى التعامل على الامانة العادلة فيها .

---

[1] الصاوى على الجلالين ، الجزء الرابع ، ص ٢٥١ ، طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية ، لاصحابها عيسى البابى الحلبى .

المبحث الثالث

عقوبة المطففين

المبحث الثالث

عقوبة المطففين

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، هذا وعيد شديد تشمئز له النفوس وتأباه من شدة عقابه .

إن أمر هؤلاء المطففين لعجيب ، فإن مجرد الظن بالبعث لذلك اليوم العظيم ، يوم يقوم الناس متجردين لرب العالمين ، ليس لهم مولى يومئذ سواه وليس بهم إلا التطلع لما يجريه عليهم من قضاء ، وقد علموا أن ليس لهم من دونه ولى ولا نصير ، إن مجرد الظن بأنهم مبعوثون لذلك اليوم كان يكفى ليصدهم عن التطفيف ، وأكل أموال الناس بالباطل ، واستخدام السلطان فى ظلم الناس ، وبخسهم حقهم فى التعامل ، ولكنهم ماضون فى التطفيف كأنهم لا يظنون أنهم مبعوثون ! وهو أمر عجيب وشأن غريب !

ثم خوفهم سبحانه وتعالى ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ والجملة مستأنفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه وللتعجب من حالهم فى الإجتراء عليه ، والإشارة بقوله (أولَئِك) أى المُطَفِّفِينَ ، والمعنى : أنهم لا يخطر ببالهم أنهم مبعوثون مسئولون عما يفعلون ، قيل والظن هنا بمعنى اليقين : أى لا يوقنُ أولئك ، ولو أيقنوا ما نقصوا الكيل والوزن ، وقيل الظن على بابه ، إن كانوا يستيقنون البعث ، فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه ويتركوا ما يخشون من عاقبته ، واليوم العظيم هو يوم القيامة ، ووصفه بالعظم لكونه زماناً لتلك الأمور العظام من البعث والحساب والعقاب ، ودخول

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [1] .

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ومحاسبون عما كانوا يعملون تيقنوا من ذلك اليوم الذى يقدر بخمسين ألف سنة فى سورة سأل سائل يوم يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين فيقف الناس مزهولين من ذلك اليوم الذى يكون فيه العرق إلى أنصاف آذانهم ، فلما قرأ النبى عليهم هذه السورة وتابوا ورجعوا إلى وفاء الكيل والوزن إلى يومهم هذا ، وقال ابن عباس : ألا يظن أولئك أى لا يعلموا ويستيقنوا أولئك أنهم سيبعثون ليوم عصيب شديد كثير الفزع ؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم يقفون فى المحشر حفاة عراة خاشعين خاضعين لرب العالمين ، قال فى البحر : وفى هذا الأنكار والتعجب ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس لله خاضعين ، ووصفه (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف [2] .

وفى الحديث عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال [يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى انصاف أذنيه] [3] ، قال القاضى أبو محمد رحمه الله ، وأمر الكيل والوزن وكيد جداً وتصرفه فى المدن ضرورى جداً فى الأصول التى هى حرام بغير حق ، والأفساد فيه كبير لا

---

[1] انتصاب الظرف بمعوثون المذكور قبله ، أو بفعل مقدر يدل عليه مبعوثون ، أى يبعثون يوم يقوم الناس ، أو على البدل من محل ليوم أو بأضمار أعنى ، أو هو فى محل رفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أو فى محل جر على البدل من لفظ ، وانما بنى على الفتح فى هذين الوجهين لاضافة إلى الفعل (كما جاء فى تفسير الشوكانى) ، ص ٣٣٩ .

[2] البحر المحيط ، الجزء الثامن ، ص ٤٤٠ .

[3] حديث أخرجه الشيخان ومسلم فى صحيحه ، الجزء الثالث ، ص ١٢٢ ، البخارى .

ينفع فيها دافع إلا التوبة ، قال مالك بن دينار [1] جبلين من نار جبلين من نار ، فقلت له يا أبا يحيي كان لي مكيلان آخذ بالأوفى وأعطى بالناقص وفي صحيح بن حبان والحاكم بلفظ وادٍ في جبلين يهوى فيه الكافر أربعين سنة .

وقال عكرمة : يشهد على كل كيال أو وزان أنه في النار ، وقال بعض العرب : لا تلتمسوا المروءة ممن مروءته في رؤس المكاييل وألسنة الموازيين .

ولو ظنوا أنهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن ، ثم فسر عز وجل اليوم بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين قال النسقي [2] ، أى لامره وجزائه وقال بن كثير [3] ، أى يقومون حفاتاً عراتاً في موقف صعب حرج ضيف ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

كلمة في السياق :

حدثنا الله عز وجل في هذه الفقرة عن خلق من أخلاق الكافرين وهو التطفيف في الكيل والوزن بدليل قوله تعالى ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ مما يشير إلى انهم لو كانوا يظنون ذلك ما فعلوه ، فالتطفيف خلق من اخلاق الكافرين بشكل عام ويدخل في التطفيف معانى أخرى يتأتى عنها المسلم ،

---

(1) مالك بن دينار البصرى ، أبو يحي من رواة الحديث ، كان ورعاً يأكل من كسبه ، ويكتب المصاحف بالاجرة ، توفى بالبصرة .

(2) النسقى : هو الحافظ أبوعلى الحسن بن عبدالملك بن على بن موسى بن اسرافيل النسفى ، ولد مفتى نسف القاضى أبى الفوارس ، ولد سنة أربع وأربعمائة .

(3) بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن ردان بن فيروزان بن هرمز الامام العلم مقرى مكة ، واحد القراء السبعة أبو معبد الكنانى الدارى المكى مولى عمرو بن علقمة الكنانى ، وقيل يكنى أبا عباد وهم البخارى وقال أنه من انب عبدالدار وقا ل ابن أبى داوود ، هو من قوم تميم الدارى ، والدار بطن من لخم أبوهم الدار بن هانى بن حبيب بن عاره من لخم ، مختصر بن كثير ، الجزء الثالث ، ص ٦١٤ .

وإن كان ليست داخلة صراحة فى النص ومن ثم قال النسفى فى هذا المقام : وعن عبدالملك بن مروان [1] إن اعرابياً قال له لقد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به ، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ولا نصب هذا استفهام انكارى لهذا الامر المنكر الذى يأتيه المطففون فى الكيل والميزان .

وجاء فى تفسير ابو السعود [2] الذى يبين المطففين الذين يظنون ، أى لا يوقنون أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، هؤلاء المطففون قد توعدهم الله بالويل والعذاب فى الآخرة ، لأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل ، فيأخذون أكثر من مالهم ، ويسألون عن كل صغيرة وكبيرة ، ويحاسبون حساباً عسيراً ليوم عظيم ، هو يوم القيامة ، يوم يقف الناس على أقدامهم والشمس من رؤوسهم مقدار ميل ويغلى دماغهم كما تغلى القدور .

كيف يكون حالهم ، وكيف يكون مصيرهم فى ذلك العذاب الأليم ، وقد ذكر الله فى سورة هود عن هؤلاء المطففين فى الكيل والميزان عندما كان قوم شعيب طففوا الميكال والميزان نهاهم الله عن ذلك ، وهم فى غيهم وضلالهم يعمهون إن فى ذلك لذكرى ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [3] ، عندما ذكر الله بأخس ما يقع من المعصية وهو التطفيف الذى لا يكاد يجدى شيئاً من تميز المال وتنميته ، مع اشتمال هذه السورة من شرح حال المكذبين المذكورين هنالك على زيادة تفصيل كما لا يخفى .

---

[1] هو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية الخليفة الفقه ، أبو الوليد الأموى ، ولد سنة ستة وعشرين .

[2] تفسير أبو السعود المسمى لرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لقاضى القضاه أبى السعود محمد بن محمد العمارى المتوفى ٩٥١هـ دار احياء التراث العربى ، الجزء السابع ، ص ١٢٤ .

[3] سورة ق ، الآية ٣٧ .

قال الزجاج [1] : يوم منصوب بقوله مبعوثون ، المعنى ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة ، ومعنى يوم يقوم الناس يوم يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين أو لجزائه ، أو لحسابه أو لحكمه وقضائه ، وفى وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب المطففين ، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه وقيل المراد بقوله (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ) قيامهم فى رشحهم إلى انصاف اذانهم وقيل المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد ، وقيل المراد قيام الرسل بين يدى الله للقضاء ، والأول أولى .

وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى الكيل والميزان [2] ، فقال ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ [3] ، وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى الميزان والمكيال ، ثم قال تعالى متوعداً لهم ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدى من يعلم السرائر والضمائر ، فى يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب ، من خسر فيه أدخل ناراً حامية ، وقوله (يَوْمَ يَقُومُ ...) يقومون حفاة عراة فى موقف صعب حرج ضيق على المجرم ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه ، عن إبن عمر أن النبى ﷺ قال [﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه] [4] ، وفى رواية لأحمد عن النبى ﷺ قال [يوم يقوم الناس لعظمة الرحمن ، قال يقوم الناس

---

[1] قال الزجاج فى تفسير محمد بن على بن محمد الشوكانى .

[2] الدرر المنثورة فى تفسير المأثور ، للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطى ، المجلد الثامن ، المطبعة ،دار الفكر ، ص ٤٤١- ٤٤٣ .

[3] سورة هود .

[4] النسائى وابن ماجة ، ٨٣/٣٠ .

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حتى أن العرق يلجم الرجال إلى انصاف آذانهم] [1] وفى حديث آخر روى الإمام أحمد عن المقداد بن الاسود الكندى قال سمعت رسول اللهﷺ يقول : [اذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبيته ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه الجاماً] [2] .

حديث آخر روى الامام أحمد عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول [تدنوا الشمس من الارض فيعرق الناس ، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ العجز ، ومنهم من يبلغ الخاصرة ، ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ وسط فيه] [3] ، وأشار بيده فألجمها فاه ، رأيت رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة [4] .

وعن إبن مسعود يقومون أربعين سنة رافعى رؤسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد ألجم العرق برّهم وفاجرهم [5] ، وجاء فى تفسير الماوردى [6] فى قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثلاث أقاويل :

---

[1] اخرجه البخارى ومسلم والامام مالك فى الموطأ .

[2] اخرجه الإمام أحمد .

[3] رواه مسلم والترمذى واحمد .

[4] اخرجه الإمام أحمد .

[5] تابع تفسير بن كثير أختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، المجلد الثالث ، دار القرآن الكريم ، ص ٨٣ - ٨٤ .

[6] هو أبو الحسن على بن حبيب الماوردى البصرى ٢٦٤ ، الجزء الرابع من الدخان إلى الناس ، حققه خضر محمد خضر ٤٥٠ راجعه الدكتور عبدالستار أبو غده ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، التراث الاسلامى ، الجزء ١٣ ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

احدهما : يـوم يقومـون مـن قبورهـم قالـه ابـن جبـير .

الثانى : يقومـون بيـن يديـه للقضـاء قالـه يزيـد بـن الرشـك .

وقـال أبوهريـرة قـال النبـى ﷺ لبشـير الغفـارى [كيـف أنـت صـانع يـوم يقـوم النـاس فيـه مقـدار ثلاثمائـة سـنة لـرب العـالمين لا يـأتيهم فيهـم خـبر ولا يؤمـر فيـه بـأمر ، قـال بشـير المسـتعان اللـه] [1] .

الثالث : أنه جبريل يقوم لـرب العـالمين فـى الآخـرة قالـه ابـن جبـير .

وفـى هـذه الأفكـار والتعجـب وكلمـة الظـن ووصـف اليـوم العظيـم وقيـام النـاس فيـه للـه خـاضعين ، ووصـف ذاتـه بـرب العـالمين ، بيـان بـرب العظيـم ، وقيـام النـاس فيـه بيـان ليليـغ لعظـم الذنـب وتفـاقم الاثـم فـى التطفيـف ومما كـان مثـل حالـه مـن الحيـف وتـرك القيـام بالقسـط والعمـل علـى التسـوية والعـدل فـى كـل أخـذ واعطـاء وفـى كـل قـول عمـل ، وقـرأ ابـن عمـر [2] (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) حتـى بلـغ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فبكـى حتـى سـقط وأمتنـع عـن قـراءة مـا بعـده ثـم قـال سـمعت رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم يقـول [يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فمنهـم مـن يبلـغ العـرق كعبيـه ومنهـم مـن يبلـغ ركبتيـه ، ومنهـم مـن يبلـغ حقويـه ، ومنهـم مـن يبلـغ صـدره ، ومنهم من يبلـغ أذنيـه حتـى انهـم ليغيـب فـى رشـحه كمـا يغيـب الضفـدع] [3] .

---

[1] الـدرر المنثـور فـى تفسـير المـأثور ، تفسـير ابراهيـم بـن حسـن ، الجـزء الثـامن ، ص ٣٠ ، دار الفكـر للطباعـة .

[2] هـو عبـدالله بـن عمـر بـن الخطـاب بـن نفيـل بـن عبدالعـزة بـن ربـاح بـن قـرط بـن رزاح ابـن عـدى بـن كعـب بـن لـؤى بـن غالب الامام القـدوة شـيخ الاسـلام ابـو عبدالرحمـن القرشـى العـدوى المكـى ثـم المدنـى ، اسـلم وهـو صغيـر ثـم هـاجر مـع أبيـه لم يحتلم واستصغر يوم احـد ، فـأول غزواتـه الخنـدق ، وهـو ممـن بـايع تحـت الشـجرة وأمـه أم المؤمنـين حفصـة .

[3] اخرجـه الشـيخان و[illegible].

وروى ناس عن ابن عباس قال (يقومون مقدار ثلاثمائة سنين قال ويهون على المؤمنين قدر صلاتهم الفريضة) ، وعن أبى سعيد الخدرى عن النبىﷺ [أنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاته المكتوبة يصليها فى الدنيا] ، وقيل إن ذلك المقام على المؤمن كزوال الشمس والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [1] .

واخرج إبن النجار فى تاريخه عن أبى هريرة أن رجلاً كان له من رسول الله ﷺ مقعداً [2] ، يقال له بشير فقعده النبى ﷺ ثلاثاً فراه مشاحباً ، فقال له : ما غير لونك يا بشير ، قال اشتريت بعيراً فشرد على فكنت فى طلبه ولم أشترط فيه شرطاً ، فقال النبى ﷺ إن البعير الشرود يرد منه ، إنما غير لونك غير هذا ، قال : لا ، قال ﷺ فكيف بيوم يكون مقداره خمسين الف سنة [3] (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وفى تفسير السيوطى حديث اخرجه الطبرانى وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن إبن عمر قال : (تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (يَوْمَ يَقُومُ ...) قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم) .

وأخرج ابن مسعود : إذا حشر الناس قاموا أربعين سنة ، واخرج أحمد فى الزهد عن القاسم بن بزة قال حدثنى من سمع أن عمر قرأ (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ)

---

[1] سورة يونس ، الآيات ٦٢ - ٦٣ .

[2] مقعداً : مكاناً كان يجلس فيه بجوار النبى ﷺ فقعده النبى ثلاثاً ، فراه متغير لونه فكيف بيوم مقداره خمسين ألف سنة .

[3] جاء هذا الحديث فى الدرر المنثور فى تفسير المنثور ، الجزء الثامن ، ص ٣٠ .

حتى بلغ (يَوْمَ يَقُومُ ...) بمقدار نصف يوم من خمسين الف سنة ، فيهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلى الشمس من الغروب حتى تغرب ، واخرج الطبرانى عن إبن عمرو أنه قال : يارسول الله كم قيام الناس بين يدى رب العالمين يوم القيامة قال ألف سنة لا يؤذن لهم بالقعود فأما المؤمن فيهون عليه كالصلاة المكتوبة .

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، أعلم أنه وبخ المطففين فقال ألا يظن أولئك الذين يطففون أنهم مبعوثون ليوم عظيم وهو يوم القيامة ، وفى الظن هنا قولان :

الأول : أن المراد من العلم وعلى هذا التقدير يحتمل أن يكون المخاطبون بهذا الخطاب من جملة المصدقين بالبعث ، ويحتمل الا يكونوا كذلك ، أما الاحتمال الأول أن المسلمين من أهل المدينة وهم الأوس والخزرج كانوا كذلك ، وحين ورد النبى ﷺ كان ذلك شائعاً فيهم ، وكانوا مصدقين بالبعث والنُّشُورْ فلا جرم ذكروا به ، وأما إن قلنا أن المخاطبين بهذه الآية لم يكونوا مؤمنين بالبعث إلا أنهم كانوا متمكنين من الاستدلال عليه لما فى العقول من ايصال الجزاء إلى المحسن والمسئ أو إمكان ذلك ان لم يتبين وجوبه وهذا ما يجوز أن يخاطب به من ينكر البعث والمعنى الا يتفكرون حتى يعلموا أنهم مبعوثون لكلام قد أعرضوا عن التفكر وأرضوا أنفسهم عن متاعبه ومشاقه ، وإنما يجعل العلم الاستدلال ظناً ، لأن اكثر العلوم الاستدلالية راجعة إلى الاغلب فى الرأى ولم يكن كالشك الذى يكون مستوى الطرفين [1] .

---

[1] جاء هذا الكلام فى تفسير اضواء البيان ، وقد سبقت ترجمته ، ص (١٥) من هذا البحث .

الموضع الأول : قال تعالى : قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً ، وذكر بر الوالدين والنهى عن قتل الاولاد والقرب من الفواحش وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وعن مال اليتيم .... ثم قال ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ...﴾ [1] ويساق أول هذه السورة ويل للمطففين كما بين عاقبة الوفاء بالكيل بقوله ذلك خير وأحسن تأويلا ، أى مآلا وهنا يلفت كلامه لا تكلف نفساً الا وسعها حيث أن الزيادة الطفيفة والشئ الطفيف القليل .

الموضع الثانى : فى سورة الأعراف من قوله تعالى ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [2] ، فاقترن الوفاء بالكيل بالأمر بعبادة الله وحده لأن فى الأمرين اعطاء كل ذى حق حقه من غير نقص .

وبين أن فى عدم الايفاء المطلوب بخس الناس اشياءهم وفساد فى الارض بعد اصلاحها [3] .

---

[1] سورة الانعام ، الآية ١٥٢ .

[2] سورة الاعراف ، الآية ٨٥ .

[3] وجاء فى تفسير اضواء البيان فى توضيح القرآن بالقرآن ، الصفحة ٣٤ - ٣٥ ، تاليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى ، الجزء التاسع ، الثانى من تتمه تلميذه عطية محمد سالم ، ص ٩٢ - ٩٥ ، عالم الكتب ، بيروت .

الموضع الثالث : فى بنى اسرائيل ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً ، وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [1] .

الموضع الرابع : من سورة الشورى وهو أعم مما تقدم ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ بِالْحَقِّ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [2] .

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ تقريع وتوبيخ لهؤلاء الناس وفيه مسألتان :

الأولى : أن الباعث على هذا العمل هو عدم اليقين من البعث .

الثانية : يقوم الناس لرب العالمين ولم يقل يوم يقتص لكل انسان فى غريمه ويستوفى كل ذى حق حقه .

---

[1] سورة الاسراء ، الآية ٢٥ .

[2] سورة الشورى ، الآية ١٧ .

الفصل الثاني

مقابلة بين الفجار وأعمالهم والأبرار وأعمالهم

المبحث الأول : تعريف الفجار

المبحث الثاني تعريفات أعمالهم

المبحث الثالث : عقوبة الفجار

المبحث الرابع : تعريف الأبرار

المبحث الخامس : بيان أعمالهم

المبحث السادس : جزاء الأبرار

الفصل الثانى

مقابلة بين الفجار وأعمالهم والأبرار وأعمالهم

لقد ذكر الله تعالى الفجار واعمالهم ما أعد لهم من العذاب بالنسبة لأعمالهم السيئة التى لا يجدون فيها عملاً يخرجهم من ذلك العذاب مقابلة بين الفجار وأعمالهم والأبرار وأعمالهم ويشمل ذلك عدد من المباحث وذكر ذلك فى كثير من الآيات فى القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [2] .

كلا كلمة زجر وردع وقيل بمعنى حقاً أن كتاب الفجار والكتاب هو الذى يكون فيه أعمالهم المذمومة ، لفى سجين وسجين مأخوذ من السجن وهو الضيق [3] ، وكان مصير الفجار إلى جهنم وهو أسفل السافلين وهو يجمع الضيق والسفول ، وانه كتاب مرقوم اى كتاب مكتوب مفروق منه ولا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، أى دمار وهلاك الذين يكذبون بيوم الدين ويكذبون بيوم الحساب اصحاب الكفر والضلال مبالغة فى العصيان والطغيان كثير الأثام [4] .

---

[1] سورة المطففين ، الآيات ٧ - ٩ .

[2] سورة المطففين ، الآيات ١٨ - ٢٠ .

[3] تفسير ابن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زادان بن فيروز بن هرمز ، الأمام العالم أبى معبد الكنانى الرازى المكى مولى عمر بن علقمة ، للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى ، المتوفى ٧٧٤هـ ، المجلد الرابع ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ص ٤٨٤ .

[4] لسان العرب ، للأمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى ، دار صادر ، بيروت

ويتضمن الفصل ستة مباحث تتحدث عن الفجار وأعمالهم وللعقوبة التى أعدها الله لهم جزاء كفرهم وفجورهم فى ثلاث مباحث كما يشمل تعريف الابرار وبيان أعمالهم والجزاء والنعيم الذى أعده الله لهم على مباحث ثلاث تفاصيلها وشرحها كما سيأتى أرجو من الله التوفيق والسداد .

المبحث الأول

تعريف الفجار

المبحث الأول

تعريف الفجار

قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ .

الفجار هم الكفار المتجاوزون للحد فى المعصية والاثم ، واللفظ يوحى بذاته بهذا المعنى .

كلا : أى ليرتدع هؤلاء المطففين الغافلين عن البعث وما بعده ، وعند أبى حاتم أن كلا بمعنى حقاً متصلة بما بعدها على معن ، حقاً (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) ، وقال الله تعالى ﴿إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [2] ، وهذا تهديد وتعذيب لهم .

(لَفِي سِجِّينٍ) سجين قال أبوبكر الجزائرى [3] ، علم على كتاب ديوان الشر ، دون فيه أعمال الشياطين ، وأعمال الكفرة وهو موضوع فى أسفل سافلين ، أسفل الارض السابعة ، وهو ديوان الكتب ، وبه أرواح الأشقياء عامة ، وقال الشيخ محمد بن أحمد الكلبى [4] : كتاب الفجار ما يكتب من

---

[1] سورة الانفطار ، الآية ١٤ - ١٥ .

[2] سورة المرسلات ، الآية ٤٦ .

[3] تفسير كتاب أيسر التفاسير ، لكلام العلى الكبير ،وبهامشه نهر الخير لأبى بكر الجزائرى الواعظ ،بالمسجد النبوى ، المجلد الخامس ، الجزء الثلاثون ، ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

[4] كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، للشيخ محمد بن أحمد بن جزئ الكلبى الجذرى ، الطباعة بيروت ، لم يعرف عدد الطباعة ، الجزء الثلاثون ص ١٨٥ - ١٨٦ .

أعمالهم ، والفجار يحتمل أن يريد بهم الكفار أو المطففين وأن كانوا مسلمين والأول أظهر لقوله بعد هذا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ، والسجين أسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة ، والسجين مشتق من السجن وهو بمعنى الحبس والتضييق فى جهنم ، ولأنه فى مكان الهوان والعذاب فقد روى عن النبى ﷺ انه فى الأرض السفلى ، وروى انه فى بئر هناك ، وحكى كعب عن الثورات إنها فى شجرة سوداء ، ويحتمل أن عدد الفجار فى سجين كتبوا هنالك فى الأزل .

قال النسفى [1] فى تفسيره [2] (كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) ، كلا : هى كما سبق تفسيرها زجر وردع وتنبيه تردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ، ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم ، أقول كلام النسفى يشير إلى ما ذكرناه من صلة الفقرة الأولى التى تحدثت عن المطففين بالفقرة الثانية الفجار والمطففون من الفجار بل هو خلق من أخلاقهم ، ولكن قد ينقل هذا الخلق إلى مؤمن لغفلة أو ضعف ايمان ، أو مخالطة ببيئة فاسدة ، أو استمرار لحال مسابقة وتخصيص هذا الخلق من اخلاق الفجار بفقره مستقلة ، تربية للمسلمين وتخليص لهم منه .

إن الفجار يعملون عملاً لا يليق بهذا المبدأ الذى عليه المجتمع من الناس وأعمالهم هى فى سجين ، وكتابهم هو سجل أعمالهم ، ولا ندرى نحن ما

---

[1] النسفى ، هو الامام الحافظ المحدث أبو على الحسن بن عبدالملك بن على بن موسى بن اسرافيل النسفى ، وهو مفتى نسف القاضى أبى الفوارس ، ولد سنة ٤٠٤هـ .

[2] التنزيل وحقائق التأويل ، الجزء الرابع ، ص ١٨٥ .

هيئته ولا نكلف هذا ، وهو غيب لا نعرف عنه الا بمقدار ما يخبرنا عنه صاحب التفسير ولا زيادة .

وروى أن الملائكة [1] ليَصْعد بعمل العبد فيستقبلونه ، فإذا أنتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه ، أوحى اليهم أنكم الحفظة على عبدى ، وأنا الرقيب على ما فى قلبه ، أنه أخلص عمله ، فأجعلوه فى عليين فقد غفرت له ، وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه ، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله ، أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى ، وأنا الرقيب على ما فى قلبه ، وانه لم يخلص عمله فأجعلوه فى سجين .

قال الفخر الرازى [2] : قال أبو حاتم [3] : انه تعالى وصف كتاب الفجار بالخسة والحقارة على سبيل الاستخفاف بهم وهاهنا ثلاث أقوال :

القول الأول : السجين اسم شئ معين أو اسم مشتق من معنى ؟ قيل فيه قولان :

الأول : هو قول جمهور المفسرين أنه اسم علم على شئ معين ، ثم اختلفوا فيه فالأكثرون على أنه الأرض السابعة السفلى ، وهو قول ابن عباس فى رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد ، وروى البراء انه عليه السلام قال سجين أسفل سبعة أرضين

---

[1] تفسير الزمخشرى ،على الكشاف ، المجلد الثامن ، ص ٨٣ .

[2] الفخر الرازى ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للامام الفخر الرازى فخرالدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى، المجلد السادس عشر ، دار الفكر ، ص ٨٨ - ٨٩ .

[3] أبو حاتم الرازى محمد بن بن ادريس بن المنذر بن داود بن مهران الامام الحافظ ، الناقد شيخ المحدثين الحنظلى القطفانى من تميم بن حنظلة من يربوع وقيل عرف بالحنظلة لانه كان يسكن فى درب حنظلة فى مدينة الرى .

قال عطاء الخرسانى [1] : وفيها ابليس وذريته ، وروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال سجين جب فى جهنم .

الثانى : انه مشتق وسمى سجين فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق كما يقال فى فسيق من الفسق

وهو قول أبو عبيده والمبرد والزجاج ، قال الواحدى : وهذا ضعيف والدليل على أن سجيناً ليس مما كانت العرب تعرفه فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أى ليس ذلك مما كنت تعرف أنت وقومك ، ولا أقول ضعيفاً فلعله إنما ذكره تعظيماً لأمر سجين كما فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ، قال صاحب الكشاف والصحيح أن سجين فعيل مأخوذ من السجن ثم انه وصف كحاتم وهو متصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف .

القول الثانى :

قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه فى سجين ثم فسر سجيناً بكتاب مرقوم فكأنه قيل أن كتابهم فى كتاب مرقوم ، وقوله تعالى (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) ليس تفسيراً لسجين بل التقدير (كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) وان كتاب الفجار كتاب مرقوم فيكون هذا وصفاً لكتاب الفجار بوصفين احدهما انه فى سجين ، والثانى انه مرقوم ووقع قوله تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ فيما تبين الوصفين معترضاً والله أعلم ، والأول يقال وأى استيفاء فى كون احد الكتابين فى الآخر إما بأن يوضع كتاب الفجار فى الكتاب الذى هو الأصل المرجوع أى

---

[1] الخرسانى ، الشيخ المحدث المسند أبو محمد عبدالله بن اسحق ابن إبراهيم بن عبدالعزيز الخرسانى البغوى ثم البغدادى وجده هو أخو محدث مكة على بن عبدالعزيز وعمه ابو القاسم البغوى .

فى تفصيل أحوال الأشقياء أو بأن ينقل ما فى كتاب الفجار إلى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث : وهو أن يكون المراد من الكتاب الكتابة فيكون فى المعنى (كِتَابَ الْفُجَّارِ فِي سِجِّينٍ) أى كتاب أعمالهم فى سجين ثم وصف السجين بأنه كتاب مرقوم ، فيه جميع أعمالهم [1] .

الثالث : معنى قوله (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) قلنا فيه وجوه : أحداهما مرقوم أى مكتوبة أعمالهم فيه ، وثانيهما قال قتادة : رقم لهم بسود أى كتب لهم بايجاب النار ، وثالثهما : قال القفال يحتمل أن يكون المراد انه جعل ذلك الكتاب مرقوماً كما يرقم التاجر ثوبه علامة لقيمته فلذلك كتاب الفاجر جعل مرقوماً رقم دال على شقاوته ، ورابعهما المرقوم هاهنا المختوم ، قال الواحدى : وهو صحيح لأن الختم علامة فيجوز ان يسمى المرقوم مختوماً ، وخامسها : أن المعنى كتاب مثبت عليهم كالرقم فى الثوب لا ينمحى .

(وان كتابهم الذى سجلت فيه أعمالهم المنكرة ، كتاب منكر فى مكان منكر ، والسجين مكان مطبق مغلق على هذا الكتاب لم يضم من شنائع ومنكرات ، قد القى به فى مكان يعيد من الآدميين ، كما تلقى الجيف أو يردم على الرمم ، وقول تعالى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) تهويل وتشنيع على هذا

---

[1] مختار الصحاح ، كتاب مرقوم ج ١ ، ص ٢٥٣ ، وقولهم هو رقم الماء أى بلغ من حذقه بالأمور اى يرقم لايثيب الرقم رقم الثواب كتابه وهو فى الأصل مصدر وقد رقم التعب ،والكتاب من باب نصر ورقمه أيضاً ترقيماً ، وقيل الروضة والأرقم الحية التى فيها سواد وبياض .

المكان الذى فيهم هذا الكتاب القبيح ، الذى تفوح فيه رائحة هذه المنكرات الخبيثة .

سأل إبن عباس كعب الأحبار [1] عن قوله تعالى (كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ) قال أن روح الفاجر يصعد بها السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتابى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبعة أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين ، وهو خد ابليس فيخرج لها من تحت خد ابليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد ابليس .

ثم يسأل سؤال الاستهوال المعهود فى التعبير القرآنى (وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ) فيلقى ظلال التفخيم ، ويشعر أن الأمر أكبر من إدراكه ، وأضخم من أن يحيط به علمه .

قال ابن كثير فى تفسيره [2] : وعن مجاهد فى رواية أخرى قال • عملهم فى الأرض السابعة لا يصعد ، وعن مجاهد أيضاً سجين صخرة فى الأرض السابعة ، فيجعل كتاب الفجار تحتها .

ثم يعود إلى وصف كتاب الفجار ، فيقول (إِنَّهُۥ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ) أى مفروق منه لا يزاد فيه ولا ينقص منه ، أى كتاب مسطور بين الكتابة ، وهو جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار [3] .

---

[1] ابن كثير أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى ٧٧٤ ، المجلد الرابع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٤٨٤ .

[2] كعب الاحبار هو كعب بن نافع الحميرى اليمانى العلامة الحبر الذى كان يهودياً فأسلم بعد وفات النبى ﷺ ،وقدم المدينى من اليمن فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

[3] لسان العرب ، ص ٢٤٩ ، الجزء الثانى عشر .

ومرقوم فى اللغة هو رقم الرقم ، والترقيم تعجيم الكتاب ورقم الكتاب يرقمه رقماً أعجمه وبينه ، وكتاب مرقوم أى قد بينت حروفه بعلاماته من التنقيط ، وقوله عز وجل (كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) كتاب مكتوب وأنشد

سأرقم فى الماء القراح اليكم

على بعدكم إن كان للماء راقم (١)

وقولهم هو يرقم فى الماء أى بلغ من حذقه بالأمور أن يرقم حيث لا يثبت الرقم ، وأما المؤمن ، فإن كتابه يجعل فى عليين فى السماء السابعة وأما الكافر فيجعل كتابه فى أسفل الأراضيين السابعة ، والرقم القلم يقولون طاح مرقمك أى أخطأ قلمك .

قال الفراء : الرقيمة المرأة العاقلة البرزة الفطنة ، وهو يرقم من الماء يضرب مثلاً للفطن ، والرقم المرقم الكاتب .

---

(١) لم يعرف قائله .

المبحث الثاني

تعريفات أعمالهم

المبحث الثانى

تعريفات أعمالهم

قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ، وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .

بعد أن تعرفنا فى الآيات السابقة عن الفجار ينبغى أن نتعرف على أعمالهم المشينة فهم يكذبون بيوم الدين أى يوم الحساب والجزاء .

قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين وهؤلاء لهم الويل ، والويل كما سبق تفسيره هو شدة العذاب أو هو وادٍ فى جهنم ، وتستعيذ جهنم من شدة حره ، والفجار الكفرة الذين يكذبون بيوم الدين ، قال ابن كثير [1] ، لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدونه ، وقوله تعالى ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ففيه وجهان احدهما أنه متصل بقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ أى يوم يقوم الناس لرب العالمين ويل لمن كذب بأخبار الله ، والثانى قوله تعالى (مَرْقُومٌ) معناه رقم يدل على الشقاوة يوم القيامة ، ثم قال تعالى (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب ، ثم انه تعالى أخبر عن صفة من يكذب بيوم الدين فقال الله تعالى ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ، ومعناه أنه لا يكذب بيوم الدين إلا من كان موصوفاً بالصفات الثلاثة : فأولها كونه

---

[1] قال ابن كثير ، للإمام أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى عام ٧٧٤هـ المجلد الرابع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٤٨٥ .

معتدياً والإعتداء هو التجاوز على المنهج الحق ، وثانيها الأثيم : وهو المبالغة فى أرتكاب الأثم والمعاصى ، وأقول إن الإنسان له قوتان قوة نظرية وكمالها فى أن يعرف الحق لذاته ، وقوة عملية وكمالها فى أن يعرف الخير لأجل العمل به ، وضد الأول أن يصف الله تعالى بما لا يجوز وصفه به ، فأن كل من منع من أمكان البعث والقيامة ، إنما منع لأنه لم يعلم تعلق جميع المعلومات من الكليات والجزئيات أو لانه لم يعلم تعلق قدرة الله بجميع الممكنات ، فهذا الاعتداء ضد القوة العملية ، كما جاء فى تفسير الفخر الرازى [1] ، وهو الإشتغال بالشهوة والغضب - مازال الكلام للرازى- وصاحبه هو الأثيم ، وذلك لأن المشتغل بالشهوة والغضب قلما يتفرغ للعبادة والطاعة ، وربما صار ذلك ما يقاله عن الإيمان بالقيامة .

أما الصفة الثالثة للمكذبين بيوم الدين فهو قوله تعالى ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ ، والمراد منه المنكرون النبوة ، والمعنى إذا تتلى عليه آيات القرآن قال أساطير الأولين وفيه وجهان . احدهما : أكاذيب الأولين ، والثانى أخبار الأولين ، وانهم عنهم أخذاً أن يقدحوا فى كون القرآن من عند الله بهذا الطريق .

وهاهنا بحث آخر ، وهو أن هذه الصفات الثلاثة هل المراد منها شخص معين أو لا ؟ وفيه قولان :

القول الأول : هو قول الكلبى : ان المراد منه الوليد بن المغيرة وقال آخرون إنه النضر بن الحارث ، واحتج من قال أنه الوليد ،

---

[1] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للإمام الفخر الرازى فخرالدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ، المتوفى سنة ٦٠٤هـ ، الجزء السادس عشر ، ص ٨٩ - ٩٠ ، دار الفكر للطباعة .

بانه تعالى قال فى سورة (نَ وَالْقَلَمِ) (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ... إلى قوله مُعْتَدٍ أَثِيمٍ)[1] ، ثم قوله (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) فقيل أنه الوليد ابن المغيرة ، وعلى هذا التقدير يكون المعنى ، وَمَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ من قريش ، أو من قومك ، إلا كل معتد أثيم ، وهذا هو الشخص المعين .

والقول الثانى انه هو عام فى حق جميع الموصوفون بهذه الصفات .

(أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ما سطره السابقون فى كتبهم من الاباطيل والخرافات ، ان النفس التى اعتادت الظلم والطغيان والبغى الاسترسال فى الشرور والآثام يصعب عليها جداً الإذعان بإخبار الآخرة والتصديق بها ، فإن تصديقها مع هذه الأعمال -حكم صريح عليها بالسفهٌ والجنون - وهذه النفس تكون جامعة طامعة ، فصاحبها يغلبها ويهون عليها الأمر بالتفافل والتكذيب يوم القيامة ، أو التعلق بالأمانى الباطلة ، تلك حقائق قرآنية نادى بها العلم الحديث ، فذلك إذا تليت آيات القرآن التى تنادى بأثبات البعث على هذه النفس ، لم يكن منها إلا أن تقول (تلك أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وأكاذيبهم حكيت لنا وأثرت عنهم ، ولكنها أحاديث لا حقيقة لها ، ولا تستحق النظر) كلا ليست آيات القرآن أساطير وإنما هى الحق لا مراء فيه ، انما دفعهم إلى هذا جراهم عليه أعمالهم السيئة التى مرنوا عليها ، فالاعتداء والاثم يقودان صاحبهما إلى التكذيب بذلك اليوم وإلى سوء الأدب مع هذا القرآن ، فيقول عن آياته التى تتلى عليه أساطير

---

[1] أثيم اثم اثماً ومأثماً أى وقع فى الاثم فهو آثم وأثيم وأثوم وأثمه الله فى كذا يأثمه ويأثمه أى عده عليه إثماً فهو مأثوم (أنظر لسان العرب ، للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى ، دار صادر ، بيروت ، المجلد الثانى عشر ، ص ٢٢٥ .

الأولين لما يحويه من قصص الأولين المسوقة فيه للعبرة والعظة ، وبيان سنة الله التى لا تتخلف ، والتى تأخذ الناس فى ناموس مضطرب لا يعيد ويعقب على هذا التطاول والتكذيب بالزجر والردع ، كلا ليس كما يقولون ثم يكشف عن علة هذا التطاول ، وهذا التكذيب وهذه الغفلة عن الحق والواضح ، وهذا الإنطماس فى قلوب المكذبين .

ثم وضح من إجرامه فقال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [1] ، أى ليرتدع هذا الفاجر عن هذا القول الباطل فليس القرآن أساطير الأولين بل غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب ، فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغى ، قال المفسرون [2] : الرَّان هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب [3] ، والرّين الطبع والدنس ، يقال رَان على قلبه من باب باع ، ربونا أيضاً أى غلب ، وقوله تعالى (كلا بل رَّان) أى غلب ، وقال الحسن [4] (هو الذنب على الذنب الحديث) وقال أبوعبيد [5] : كلما غلبك فقد ران بك ، وران عليك ، وريين بالرجل إذا وقع فيما لا يستطيع

---

[1] انظر مختار الصحاح ، الجزء الأول ، الامام محمد بن أبى بكر عبدالقادر الرازى ، عنية بترتيبه محمود خاطر ، الناشر دار الحديث بجوار إدارة الأزهر ، ص ٢٦٦ ، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاوه .

[2] تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ، المجلد التاسع ١٧ - ١٨ ، توزيع مكتبة الغزالى ، دمشق ، الناشر مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ، الجزء السابع عشر ، ص ١٧ .

[3] فى الحديث (أن العبد إذا اخطأ خطيئه نكتت قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر اله وتاب .... قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذى ذكر الله فى كتابه (بل ران ...الخ) ، رواه الترمذى .

[4] الحسن بن محمد بن الحنفية الامام ابو محمد الهاشمى ، كان من أجل الاخوين حدث عن ابيه وابن عباس وجابر وأبى سعيد الخدرى وسلمة بن الأكوع .

[5] أبو عبيده الامام الحافظ المجتهد ذو الفنون ابوعبيد القاسم بن سلام بن عبدالله كان أبوه سلام مملوكاً رومياً لرجل هروى مولده سنة ١٥٧هـ

الخروج منه ولا قبل له به ، ولأهل اللغة [1] فى تفسير لفظة الرين وجوه ولأهل التفسير وجوة أخرى .

أما أهل اللغة ، فال أبوعبيد رأن على قلوبهم غلب عليهم ، والخمر ترين على عقل السكران ، والموت يرين على الميت فيذهب به ، قال الليس : ران النعاس والخمر فى الرأس إذا رسخ فيه وهو يريد رياً وريونة ومن هذا حديث عمر فى اسيقع جهينة لما ركبه الرين أصبح قد رين به ، قال أبو معاذ النحوى : أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع ان يطبع على القلب ، وهو اشد من الرين ، والاقفال أشد من الطبع ، وهو يقفل على القلب .

قال الزجاج فى تفسير الطبرى : ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم والرين كالصداء يغشى القلب ، ومثله الغبن أما أهل التفسير فلهم وجوه

قال الحسن ومجاهد [2] : هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه ، فيموت القلب ، وروى أن رسول الله ﷺ أنه قال (اياكم ومحقرات الذنوب ، فإن الذنب يوقد على صاحبه جحيماً ضخماً) قال سيد قطب عن مجاهد : القلب كالكف فإذا اذنب الذنب انقبض ، وإذا أذنب ذنباً آخر إنقبضّ ، ثم يطبع عليه وهو الذنب ، وقال آخرون : أمثال الطبرى الزحيلى والألوسى : كلما أذنب الانسان حصلت فى قلبه نكتة سواداء حتى يسود القلب كله ، وروى هذا مرفوعاً عن أبى هريرة : قلت لا شك أن تكرار الأفعال سبب لحصول ملكة نفسية ، فإن من أراد تعلم الكتابة ، فكلما كان إتيانه بعمل الكتابة أكثر كان اقتداره على عمل الكتابة أتم إلى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان

---

[1] تفسير الكشاف ، المجلد الثامن الجزء الثانى الزمشخرى .

[2] فى ظلال القرآن ، سيد قطب ، المجلد السادس ، ج ٢٦ - ٣٠ ، ص ٨٣٨ .

بالكتابة من غير رؤية ولا فكرة فهذه الهيئة النفسانية لما تولدت من تلك الأعمال أثر فى حصول تلك الهيئة النفسانية ، فإذا عرفت هذا فنقول إن الانسان إذا واظب على الإتيان ببعض أنواع الذنوب حصلت فى قلبه ملكة نفسانية على الاتيان بذلك الذنب ، ولا معنى للذنب إلا ما يشغلك بغير الله ، وكل ما يشغلك بغير الله فهو ظلمة ، فأن الذنوب كلها ظلمات وسواد ، ولكل واحد من الأعمال السالفة التى أورث مجموعها ، حصول تلك الملكة أثر فى حصولها فذلك هو المراد من قولهم : كلما أذنب الإنسان حصلت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب (الحديث) .

ولما كانت مراتب الملكات فى الشدة والضعف مختلفة ، لاجَرَم كانت مراتب هذا السواد والظلمة مختلفة ، فبعضها يكون رِيناً وبعضها طبعاً وبعضها أَقْفَالاً ، قال القاضى [1] : (ليس المراد من الرين أن قلوبهم قد تغيرت وحصل فيها منع ، بل المراد أنهم صاروا لا يقاع الذنب حالاً بعد حال متحدثين عليه وقوية دواعيهم إلى ترك التوبة ، وترك الاقلاع فاستمروا وصعب الأمر عليهم ، ولذلك بين الأقلية الذين كسبهم ومعلوم أن أكثارهم من اكتساب الذنوب لا يمنع من الإقلاع والتوبة ، وأقول قد بينا أن صدور الفعل حال استواء الدواعى إلى الفعل ، والداعى إلى الترك محال لا متناع ترجيح الممكن من غير مرجح بأن يكون ممتنعاً حال المرجوحية كان أولى ولما سلم القاضى أنهم صاروا بسبب الأفعال السالفة راجحاً فوجب أن يكون الأقلاع فى هذه الحالة ممتنعاً ، وتمام الكلام قد تقدم مراراً فى هذا الكتاب .

---

[1] قاضى قضاه الامام أبى محمد ابى السعود محمد بن محمد العمارى ، أنظر تفسير أبى السعود ، المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المتوفى سنة ٩١٥هـ ، دار احياء التراث العربى ، ص ١٢٤ .

وقرأ حفص (بَلْ ران) بالسكت ، وقرأ حمزة والكسائى وأبوبكر بالامالة (بل ريـن) .

قال صاحب الكشاف : إسودت قلوب الكفار ، وران عليها الفساد ، فلم تعد تبصر الخير على أنه خير ، فإن الرين الذى ينشأ على الذنب ، كالصداء على المرآة ، والتوبة تجلوه ، ومداومة العمل الفاسد تجعل الفساد ملكة عند الانسان ، فيعمل الشر بلا تفكير ولا روية ، وذلك هو الرين ، أو الطبع أو الغفل [1] .

المعنى : كان الكفار لسوء تفكيرهم وغرورهم بأنفسهم يقولون : إن كان محمد صادقاً فى أن هناك بعثاً ، فنحن فى المنزلة العليا والدرجة الرفيعة ، قال تعالى ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [2] .

---

[1] الكشاف ، للزمخشرى ، ٨٣/٨ .

[2] سورة فصلت ، الآية ٥٠ .

المبحث الثالث

عقوبة الفجار

المبحث الثالث

عقوبة الفجار

قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ .

بعد ان تحدثنا فى المبحثين الأول والثانى عن تعريف الفجار وتعريفات أعمالهم نتحدث عن عقوبة الفجار وما أعد لهم من العذاب فى أسفل الأرض السابعة وحرمانهم من رؤية رب العالمين فى الآخرة .

قال تعالى (كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ) قال القرطبى [1] : وأما من أتصف وكان مقصوده الحق المبين فإنه لا يكذب بيوم الدين ، لأن الله قد أقام عليه الأدلة القاطعة والبراهين ، ما يجعله حق اليقين ، فإنه محجوب عن آيات الله ، وهذا مصيره ومآله وجزاءه العذاب الاليم والعقوبة البالغة ، فذلك لهم ثلاثة أنواع من العذاب ، عذاب الجحيم ، عذاب التوبيخ واللوم ، وعذاب الحجاب عن رب العالمين المتضمن سخطه وعقابه عليهم ، وهو أعظم عليهم من عذاب النار ، ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يزون ربهم يوم القيامة فى الجنة ويرزقون بالنظر إليه ، أعظم من سائر اللذانُ ويبتهجون بخطابه ، ويفرحون بفرحه ، ولكن الفجار بعيدين عن ذلك ، لهم العذاب الشديد .

---

[1] القرطبى فى تفسير الجامع لأحكام القرآن ، المجلد التاسع ١٧ - ١٨ توزيع مكتبة الغزالى ، دمشق الجزء السابع عشر ، ص ١٧ .

وقد ذكرت الآيات القرآنية وتواتر النقل فيها عن رسول الله ﷺ فيعذبون على جزائهم فيعذبون العذاب الأكبر لما قدموه وما عملوه ليرون ذلك العذاب .

بين الله للكفار الفجار منزلتهم يوم القيامة فقال تعالى مخاطباً لهم فى ما معناه أنهم يومها لداخلون جهنم وزائقون حرها وجحيمها ، ثم يقال لهم من قبل الملائكة تأنيباً وتوبيخاً هذا يوم العذاب والجزاء الحق الذى كنتم إذا سمعتم خبره تكذبون به وتكفرون ، وها أنتم أولاء قد عاينتموه بأنفسكم بل وذقتم مره لقد حجبت قلوبهم المعاصى والآثام ، حجبتها عن الإحساس بربها فى الدنيا وطمستها حتى أظلمت وعميت فى الحياة ، فالنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق فى الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجه الله الكريم ، وان يحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى ، التى لا تتاح إلا لمن شقت روحه ورقت وصفت واستحقت أن تكشف الحجب بينها وبين ربها ، ممن قال الله فيهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [1] ، وهذا الحجاب عن ربهم عذاب فوق كل عذاب ، وحرمان فوق كل حرمان ، ونهاية يائسة لإنسان يستمد انسانيته من مصدر واحد ، هو إتصاله بروح ربه الكريم ، فإذا حجب عن هذا المصدر فقد خصائصه كانسان كريم وأرتكس إلى درجة يستحق معها الجحيم ، قال صاحب الكشاف أنهم ذكروا فى (كَلَّا) وجوهاً ، احدهما كلا ردع عن الكسب الرائن ، عن قلوبهم وغايتها قال القفال : إن الله تعالى حكى فى سائر السور عن هذا المعتدى الأثيم ، انه كان يقول :إن كانت الآخرة حقاً ، فإن الله يأتيه مالاً وولداً ، ثم أنه تعالى كذبه فى هذه المقالة فقال تعالى ﴿أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ

---

[1] سورة القيامة ، الآيات ٢٢ - ٢٣ .

عَهْدًا﴾[1] ولما كان هذا مما قد تردد ذكره فى القرآن ترك الله ذكره هاهنا وقال ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أى ليس الأمر كما يقولون من أن لهم الآخرة الحسنى بل هم محجوبون عن ربهم .

وثانيهما : ان يكون ذلك تكريراً وتكون كلا هذه هى المذكورة فى قوله تعالى (كَلَّا بَل رَّانَ) أما قوله (إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ ...) ، فقد احتج الاصحاب على أن المؤمنين يرونه سبحانه . قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ، وفيه تقرير آخر ، وهو أنه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيداً وتهديداً للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمنين ، أجابة المعتزلة عن هذا من وجوه ، أحدهما : قال الجبائى : المراد انهم عن رحمة ربهم محجوبون أى ممنوعون كما يقال فى الفرايض الإخوة يحجبون الأم عن الثلث ولذلك يقال لمن يمنع عن الدخول هو حاجب لأنه يمنع من رؤيته والدليل على ان الرؤية للمؤمنين جائزة قوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [2] ، فأعلم أن المؤمنين ينظرون إليه وان الكفار محجوبون عنه قال مالك بن انس فى هذه الآية لما حجب اعداءه فلم يروه ، وتجلى لأوليائه حتى رأوه .

وقال الشافعى : لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا

قال تعالى (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) أى لداخلون النار معذبون فيها أو لمقاسون حرها الشديد ، ومع الجحيم التأنيب وهو أمر من الجحيم ، ثم إذا دخلوها يقال لهم من جهة الزبانية هذا الذى كنتم به تكذبون .

---

[1] سورة مريم ، الآية ٧٨ .

[2] سورة القيامة ، الآيات ٢٢ - ٢٣ .

المبحث الرابع

تعريف الأبرار

المبحث الرابع

تعريف الأبرار

بعد أن بين الله حالة المطففين وحال الفجار ، اتبعه الله بحال الأبرار الذين آمنوا بالله واليوم الآخر ، الذين صدقوا الله ورسوله ، العاملين المتبعين المهتدين ، لهم الدرجات العلى .

والأبرار هم الذين أبروا آباءهم وابناءهم ، ولقد بين صاحب التفسير [1] درجة الأبرار يوم القيامة فى الجنة وبين منزلتهم عند الله ، وأعمالهم فى كِتَابٍ مَّرْقُومٍ [2] ، هى عليون ، أن لهم الجزاء الحسن على إحسانهم فى الدنيا حتى يتبين أن كتاب الابرار ضد كتاب الفجار بجميع معانيه ، فيقبل العاقل على معلومات الأولين ، ويبتعد عن محاكاة الآخرين ، قال صاحب التفسير (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارَ لَفِى عِلِّيِّينَ) أى حقاً ان كتاب الأبرار وهم المؤمنون المخلصون العاملون المطيعون مرصود فى كتاب بين مسطور أو فى أعالى الجنة ، ومصيرهم إلى الجنة وهم بخلاف الفجار ، وبخلاف سجين ، وعليين هو مكان عال مشرف فى أعلى الجنة ، قال فى التسهيل [3] : لفظ (عليين)

---

[1] التفسير المنير ، للدكتور وهبة الزحيلى فى العقيدة والشريعة ، الجزء ٢٩ - ٣٠ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ص٧١ .

[2] مرقوم (انظر لسان العرب) معناه الرقم وهو النعيم والترقيم تعجيم الكتاب ، ورقم الكتاب يرقمه رقماً اعجمه وبينه ، وكتاب مرقوم قد بينت حروفه بعلاماته من التنقيط ، كتاب مرقوم معناه كتب مكتوب وأنشد صاحب لسان العرب ، ٢٤٩/١٢

سأرقم من الماء القراح اليكم

على بعدكم ان كان للماء راقم

[3] التسهيل لعلوم التنزيل ، ١٨٥/٤ .

للمبالغة وهو مشتق من العلو لأنه سبب فى ارتفاع الدرجات فى الجنة ، أو لأنه فى مكان علي رفيع فقد روى أنه تحت العرش وحكى الواحدى عن المفسرين كالفراء وابن عباس انه فى السماء السابعة .

قال قتادة ومجاهد والضحاك [1] ، يعنى السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين ، وقال الضحاك هو عند سدرة المنتهى ، وقال ابن عباس العليون الجنة ، وقال مكى قيل هو فى السماء الرابعة ، وقال الفراء عن بعض العلماء هو فى السماء الدنيا ، والمعنى ان كتابهم الذى فيه اعمالهم هنالك إهتماما بها وترقيقاً لها .

(كَلَّا) بمعنى حقاً ان كتاب الابرار لفى عليين على قدر مرتبتهم ، قال ابن عباس فى الجنة وعنه قال ابن اسحق [2] أعمالهم فى كتاب الله فى السماء يأتيه كتاب من الله عز وجل مختوم بأمانة من العذاب فذلك قوله تعالى (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ) وقال فى تفسير الجمل الجزء الأول ان روح المؤمن إذا قبضت صعد بها السماء ، وفتحت لها ابواب السماء وتلقتها الملائكة بالبشرى ثم يخرجون معها حتى ينتهوا إلى العرش فيخرج من تحت العرش رق ، فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب يوم القيامة ويشهده المقربون [3] .

وقال الفراء عليين إرتفاع بعد ارتفاع لاغاية له ، ووجه هذا انه منقول من جمع على من العلو ، قال الزجاج هو إعلا الأمكنة ، قال الفراء والزجاج

---

[1] قتادة والضحاك ومجاهد ، سبقت ترجمته ، ص (١١) .

[2] قال ابن اسحق : هو ابوعبيد الله ، ويقال أبوبكر محمد بن اسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال كوثان المؤلف الثبت الحافظ المتقن عمدة من اتى بعده ، واوحد من عاصره جمعاً لاخبار رسول الله ﷺ وحديث مغازيه حتى قال فيه زهرى لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن اسحاق ، وقال فيه الامام الجليل محمد بن ادريس الشافعى من اراد ان يتنحى فى المغازى فهو عيال على ابن اسحاق ، ١/١١٢ - ١١٣ .

[3] ذكره القرطبى عن كعب الجزء ١٩ ، ص ٢٦٠ .

: فأعرب كأعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه ، نحو ثلاثين وعشرين وقنسرين ، والأبرار جمع بر ضد الفاجر ، وعليين علم لديوان ضخم سجل فيه عمل الأبرار والصالحين من الثقلين الانس والجن ، وقرأ ابن عامر بكسر الراء وقرأ ابن كثير ونافع بفتحها ، وقرأ أبى عمرو وحمزة والكسائى بأمالتها [1] .

﴿وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ [2] ، أى ما أعلمك يا محمد أى شئ عليون على جهة التفخيم والتعظيم لعليين ، ثم فسره الفراء فقال : (كتاب مرقوم) أى مسطور ، والكلام فى هذا كالكلام المتقدم فى قوله تعالى (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) إن صحف أعمال الأبرار مدونة فى السجل الكبير ، وهو الكتاب المسطر البين الثابت ، الذى يتميز بعلامته الخاصة ، والمقصود من وضع كتاب الفجار فى اسفل السافلين وفى اضيق المواضع اذلال الفجار وتحقير شأنهم ، والمقصود من وضع كتاب الابرار فى اعلى عليين وشهادة الملائكة لهم بذلك ، اجلالهم وتعظيم شأنهم ، قال تعالى ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ، يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء

---

[1] أبو عمر وابن كثير ونافع ابى عمرو وحمزة والكسائى من القراء .

[2] التفخيم والتعظيم لمراتب الأبرار .

[3] سورة الانفطار ، الآية ١٤ .

وَلَا شُكُوراً إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾[1] .

(كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) إنه كتاب مسطور سطرت فيه اسماؤهم وأعمالهم ، وهو السجل الكبير الذى تحضره الملائكة ، وتحفظه ويرونه كما يحفظ اللوح المحفوظ ، أو يشهدون بما فيه يوم القيامة ، أو يشهد على الأبرار مقربو كل سماء من الملائكة وهذه أضداد كتاب الفجار ، وبالمقارنة بينهما يتبين أن العلو والفسحة والضياء والطهارة من علامات السعادة ، والسفل والضيق والظلمة من علامات الشقاوة .

وجملة (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) صفة أخرى للكتاب ، والمعنى أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ، قال ابن اسحق [2] ، المقربون هنا اسرافيل ، فإذا عمل المؤمن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ فى السموات كنور الشمس فى الارض حتى تنتهى بها اسرافيل فيختم عليها .

---

[1] سورة الانسان ، من الآية ٥ إلى ١١ .

[2] ابن اسحق هو أبوعبدالله ويقال ابوبكر محمد بن اسحق بن يسار بن خيار ، ويقال بن كوتان المؤلف الثبت الحافظ المتفنن عمدة من أتى بعده ، وأوحد من عاصره جمعاً لأخبار رسول الله ﷺ وحديث مغازية حتى قال فيه الزهدى : لا يزال بالمدينة علم جم ما كان فيهم ابن اسحق ، وقال فيه الامام الجليل محمد بن إدريس الشافعى من أراد أن يتنحى فى المغازى فهو عيال على ابن اسحق ١/١١٢-١١٣ ، انظر سيرة ابن هشام ، ١/١١٢-١١٣ .

المبحث الخامس

بيان
أعمالهم

المبحث الخامس

بيان أعمالهم

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) أى أن المطيعين لله فى الجنات الوارفة ، والظلال الممتدة يتنعمون (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) أى هم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور ، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من أنواع الكرامة والنعيم فى الجنة ، الأرائك ، الأسرة التى فى الحجال ، وقد تقدم انها لا تطلق الأريكة على السرير إلا إذا كان حجلة ، قال الحسن [1] ما كنا ندرى ما (الْأَرَائِكِ) حتى قدم علينا رجل من اليمن ، فزعم ان الاريكة عندهم الحجلة إذا كان فيها سرير ، ومعنى (يَنظُرون) انهم ينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامات ، كذا قال عكرمة [2] وابن مجاهد وغيرهما [3] ، وقال مقاتل ينظرون إلى أهل النار وقيل ينظرون إلى وجهه وجلاله .

وفى تفسير الصابونى أى هم على السرر المزينة بفاخر الثياب والستور ينظرون إلى ما أعد الله من نعيم ، أى انهم ينظرون حيث يشاؤون ، لا يفضون من مهانة ولا يشغلون عن النظر من مشقة ، أى أنهم فى موضع التكريم ، وهم على الارائك وهى الأسرة فى الحجال كما جاء فى تفسير

---

(1) الحسن بن يسار الحسن البصرى .

(2) عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة سيد بنى مخزوم فى زمانه أبوعبدالله وأخو الفقيه ابوبك سمع أباه وابن عمر السهمى وأم سلمة حدث عنه ابناءه وعبدالله ومحمد الزهرى ويحيى ابن محمد .

(3) ابن مجاهد ولد سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م ، هو محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد أبوعبدالله الطائى البغدادى عالم بالكلام من المالكية من أهل البصرة صحب الحسن الاشعرى فسكن بغداد فقرأ عليه أبى بكر الباقلانى علم الكلام ، له كتاب فى أصول الفقه على مذهب مالك ورسالة فى الاعتقادات على مذهب اهل السنة ، وكتاب هداية المستبصر ومعونة المنتصر .

الشوكانى يؤيده تفسير سيد قطب فى ظلال القرآن الكريم ، وأقرب ما يمثله عندنا (الناموسية) وصورتها الدنيوية كانت أرقى وأرق مظاهر النعيم عند العرب ذى العيشة الخشنة ، أما صورتها الاخروية فعلمها عند الله ، فهى على أية حالة أعلى من كل ما يعهده الإنسان مما يستمده من تجاربه فى الأرض وتصوراته ؟ وهم فى هذا النعيم ناعموا النفوس والاجسام ، تفيض النضرة على وجوهم وملامحهم حتى ليراها كل رائى ، وإذا رأيتهم عرفتهم أنهم من أهل النعمة لما تراه فى وجوههم من النور والحسن ، والبياض ، والبهجة ، والرونق ، وذلك أن الله زاد فى جمالهم وفى ألوانهم ، ما لا يصفه وأصف ، وهكذا فى الأساس فى التفسير [1] ، الأبرار أهل الطاعة فى نعيم عظيم لا يقادر قدرة (على الأرائك ينظرون) وقال مقاتل (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى فى الحجال على سرر متقابلين ، قال الله تعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [2] ، ولهم ﴿حُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [4] ، تلك الصفات العلا والدرجات العلا للأبرار ، هم أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون ، لهم جنات العلا تجرى من تحتها الأنهار ، وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ، وقوله تعالى ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ، أى أن آثار النعيم الذى هم فيه ، تراه ظاهراً على وجوههم المشرقة بنضرة النعيم ، ورونقه وبشاشته ، وفى التعبير ، قوله تعالى (تعرف فى وجوههم) بدل من ترى على وجوههم ، أشار إلى آثار هذا

---

[1] الأساس فى التفسير ، لسعيد حوى ، المجلد الأول ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ص ٥٣ .

[2] سورة الواقعة ، الآيات ١٧ - ١٨ .

[3] سورة الواقعة ، الآيات ٢٣ - ٢٤ .

[4] سورة النبأ ، الآيات ٣١ - ٣٣ .

النعيم الواضح على الوجوه ، وأن مجرد النظر إلى هذه الوجوه يفيد علماً ومعرفة بما يلقى أصحاب هذه الوجوه من ألوان النعيم ، كما قال الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [2] .

---

[1] سورة عبس ، الآيات ٣٨ - ٣٩ .

[2] سورة القيامة ، الآيات ٢٢ - ٢٣ .

المبحث السادس

جزاء الأبرار

المبحث السادس

جـــزاء الابـــرار

بعـد أن عرفـت الآيـات السـابقة الأبـرار فـى قولـه تعـالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ... إلـى قولـه ... يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ انتقلـت السـورة لبيـان أعمـالهم المشـرقة الواضحـة فـى الآيـات التاليـة مـن قولـه تعـالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[1] حتـى انتهـت الآيـات بـالنضرة التـى تعـرف فـى وجوههـم مـن النعيـم الـذى اعـد لهـم جـزاء بمـا كـانوا يعملـون ، قـال تعـالى ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[2] .

إنتهـت بنـا الآيـات إلـى توضيـح الجـزاء الـذى أعـده اللـه للأبـرار جـزاء بمـا لاقـوا فـى الدنيـا مـن حرمـات لمتـاع الحيـاة الفانيـة ان الأبـرار لفـى نعيـم يقـابل الجحيـم الـذى ينتهـى إليـه الفجـار ، علـى الأرائـك ينظـرون أى انهـم فـى موضـع التكريـم ينظـرون حيـث يشـاءون لا يغضـون مـن مهانـة ولا يشـغلون عـن النظـر مـن مشـقة وهـم علـى الأرائـك وهـى الأسـرة فـى الحجـال وأقـرب مـا يمثلهـا عندنـا مـا نسـميه الناموسـية ، أو الكلـة وصورتهـا الدنيويـة ، كـانت أرقـى وأرق مظـاهر النعيـم عنـد العـرب ذى العيشـة الخشـنة ، أمـا صـورتهـا الأخرويـة فعلمهـا عنـد اللـه وهـى علـى أيـة حالـة أعلـى مـن كـل مـا يعهـده الإنسـان ممـا يسـتمده مـن تجاربـه فـى الأرض وتصوراتـه .

---

(1) سـورة المطففين ، الآيـة ٢٢ .

(2) السـورة نفسـها ، الآيـة ٢٤ .

قال تعالى (يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ) أى يسقون من خمر فى الجنة بيضاء طيبة صافية ، ولم تكدرها الأيدى ، لاغش فيه ولا شئ يفسده ، خالصة من الدنس [1] ، والرحيق صفوت الخمر وثمرة الجنة ، غير مسكرة ، كما قال تعالى ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [2] ، وقال تعالى ﴿فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾ [3] ، وهذا النوع من الخمر يختلف عن النوع الآخر الذى يجرى فى الأنهار الذى مشار إليه فى قوله تعالى ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [4] ، ولكن هذا المختوم أفضل وأشرف من الجارى .

وللرحيق صفات أربع هى [5] :

الأولى : أنه شراب مختوم قد ختم عليه تكريماً له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكرم ويصان .

الثانية : ختامه مسك أى عاقبته المسك بمعنى يختم له آخره بريح المسك قال الفراء الختام آخر كل شئ .

الثالثة : أنه محل التنافس والتنازع لرفعته وطيبه ، والمراد فاليرغب الراغبون به إلى المبادرة إلى طاعة الله عز وجل .

الرابعة : (وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ) أى ومزاج ذلك الرحيق الذى يخلط به من تسنيم وهو شراب ينصب عليهم من علو ، وهو أشرف شراب أهل الجنة .

---

(1) سبقت ترجمته ص (١٠) تفسير الشوكانى

(2) سورة الواقعة ، الآية ١٩ .

(3) سورة الصافات ، الآية ٤٧

(4) سورة محمد ، الآية ١٥ .

(5) سبقت ترجمته ، ص (

(يسقون من رحيق مختوم) مختوم أى قد ختم على تلك الأوانى فلا يفك ختمها إلا الأبرار تكريماً لهم فقد ختم بأسمهم .

قال تعالى (ختامه مسك[1]) ، أى آخر الشراب تفوح منه رائحة المسك ، إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وقد اختلف المفسرون فى قوله (ختامه مسك) فقال ابن مسعود وعلقمة : معناه خلطه ومزاجه ، وقال ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير : معناه خاتمه ، أى تجد الرائحة عند خاتمة الشرب وهى رائحة المسك ، وقال أبو على المراد لإزاده المقطع وذكاء الرائحة مع طيب المطعم ، وكذلك قوله تعالى ﴿كان مزاجها كافورا﴾ [2] ، وقوله تعالى (زنجبيلاً) أى تجد من اللسان ، وقد قال ابن مقبل : مما يعتق فى الحانوت باطنها بالقرنفل والجوز والرمان مختوم ، وقال مجاهد : معناه طينة الذى يختم به مسك بدل الطين فى الدنيا ، وهذا إنما يكون فى الكؤوس ، لأن خمر الآخرة ليس فى (دنان) [3] ، انما هى فى أنهار .

وقرأ الجمهور (ختامه مسك) وقرأ على بن أبى طالب [4] والكسائى والضحاك والنخعى (خاتمه) وهذه **بينت** المعنى ، وانها يراد بها الطبع على الرحيق ، وروى عنهم أيضاً كسر التاء (خاتمه) .

(يسقون من رحيق مختوم) والرحيق الشراب الخالص المصفى الذى لا غش فيه ولا كدرة ووصفه بانه مختوم ختامه مسك قد يفيد أنه معد فى أوانية

---

(1) ختامه مسك ، التشبيه بليغ ، أى كالمسك فى الطيب والبهجة ، فحذف منه الاداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً .

(2) سورة الانسان ، الآية ٥ .

(3) دنان جمع دن وهى الأوانى .

(4) على بن أبى طالب هو ابن عم النبى ﷺ ، أسلم وعمره عشر سنوات ويقال له كرم الله وجهه لأنه لم يسجد لصنم ، نام على فراش النبى ﷺ فى ليلة الهجرة ، وتغطى بغطاء الرسول ﷺ وكان تأخر فى الهجرة لأجل أن يسلم الامانات إلى اهلها بأمر من الرسول ﷺ وهو رابع الخلفاء الراشدين .

، وان هذه الأوانى مغلقة مختومة بالمسك تفض عند الشراب ، وهذا يلقى ظل الصيانة والعناية كما أن جعل الختم من المسك فيه اناقة ورفاهية ، وهذه الصورة لايدركها البشر إلا فى حدود ما يعهدون فى الأرض ، فإذا كانوا هناك كانت لهم اذواق ومفاهيم تتناسب تصورهم الطليق من جو الأرض المحدود [1] .

ثم حرض الله تعالى على الجنة بقوله (وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ[2]) أى أن هؤلاء الأبرار الذين اخذوا منازلهم فى الجنة ، وأتكأو على الأرائك المعدة لهم وسرحوا بأبصارهم فى ألوان هذا النعيم الممدود بين أيديهم ، أنه يطاف عليهم بالرحيق ، وهو الشراب الخالص المبرأ من كل شئ ، وقد ختم بخاتم المسك ، فإذا فض ختامه عبقت من رائحة المسك فعطرت الجو من حوله ، فتتنتعش النفوس لشرابه ، وتهتش لاستقباله ، أى لمثل هذا فليعمل العاملون ويجد المجدون ويتنافس المتنافسون فيه ، فهذا الذى ينبغى أن يطلب ويشتد الطلب عليه ويكثر التنافس فيه ، وأما ما سواه فهو هباء وقبض الريح ، والتنافس فى الشئ هو المقالات فيه ، وان يتبعه كل واحد نفسه ، فكأن نفسيهما تياران ، وقيل هو من قولك شئ نفيس [3] ، فكأن هذا يعظمه ، ويعظمه الآخر .

إن اولئك المطففين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، ولا يحسبون حساب الآخر ، ويكذبون بيوم الجزاء والحساب ، ويرين على قلوبهم الإثم والمعصية ، إن هؤلاء إنما يتنافسون فى مال أو متاع من متاع الأرض الزهيد

---

(1) قال قتادة والضحاك ومجاهد ، قد سبقت ترجمتهم ، ص (١٤٢) من القسم الأول

(2) يتنافس المتنافسون ، جناس اشتقاق .

(3) تفسير الطبرى ، الجزء ٣٠/٦٨ .

، يريد كل منهم أن يسبق إليه ، وأن يحصل على أكبر نصيب منه ، ومن ثم يظلم ويفجر ، ويأثم ويرتكب ما يرتكب فى سبيل متاع من متاع الأرض الزائل .

وما فى هذا العرض القريب الزهيد ينبغى التنافس إنما يكون التنافس فى ذلك النعيم وفى ذلك التكريم (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) ، فهو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السّباق ، وهو غاية تستحق الغلاب .

والذين يتنافسون على شئ من أشياء الأرض مهما كبر وجل وأرتفع وعظم ، إنما يتنافسون فى حقير قليل فإنه قريب ، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضه ، ولكن الآخرة ثقيله فى ميزانه ، فهى اذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة ، وقال الرازى[1] : (ما يؤيد هذا التفسير من علو شأن الترغيب فى التنافس فى النعيم العظيم الدائم ، لا فى النعيم الفانى .

(وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ) تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيماً لأرتفاع مكانها أو رفعة شرابها (وَمِزَاجُهُ) أى مزاج ذلك الرحيق ماءً من عين فى الجنة ، منصب من علو إسمها تسنيم – وهو مصدر سنمه إذا رفعه لان شرابها أرفع شراب فى الجنة ، يشرب منه المقربون ، فتسنيم أفضل انهار الجنة والمقربون أفضل أهل الجنة .

فيلاحظ أنه تعالى لما قسم المكلفين فى سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام المقربون واصحاب اليمين واصحاب الشمال فيذكر كرامة المذكورين فى هذه

---

[1] تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، للامام محمد الرازى فخرالدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ، المجلد السابع عشر ، الجزء التاسع ، ص ١٨ – ٢٠، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

السورة بانه يمزج شرابهم من عين يَشْرَبُ بها الْمُقَرَّبُونَ ، علماً أن المذكورين هنا هم أصحاب اليمين ، وهذا يدل على أن الأنهار متفاوتة فى الفضيلة .

وقوله تعالى (عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) وانتصاب عيناً على المدح ، وقال الزجاج [1] : على الحال ، وانما جاز أن تكون عيناً حالاً مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله (يَشْرَبُ بها) وقال الأخفش : إنها منصوبة بيسقون ، أى يسقون عيناً أو من عين ، وقال الفراء إنها منصوبة بتسنيم على أنه مصدر مشتق من السنام ، كما فى قوله تعالى (أو إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يتيماً ذَا مَقْرَبَةٍ) ، والأول أولى ، وبه قال المبرد : قيل والباء من بها زائدة ، أى يشربها ، أو بمعنى من : أى يشرب منها ، قال ابن زيد [2] : بلغنا انها عين تجرى من تحت العرش ، قيل يشربها المقربون صرفاً ، ويمزج بها كأس أصحاب اليمين .

وقال ابن جرير فى تفسيره [3] : إن هذا الرحيق الذى يشرب منه الأبرار فى الجنة ، والذى تعبق منه رائحة المسك ، هو ممزوج بتسنيم !! وقد بين الله هذا التسنيم الذى يمزج بهذا الرحيق ، وهو عين من عيون الجنة لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد أعدها جل شأنه ليشرب منها عباد الله المقربون ، أى أهل القرب منه ، وأهل الكرامة عنده .

---

[1] قال الزجاج : فى فتح القدير ، للشوكانى ، وكذا جاء فى تفسير الطبرى ، ٣٠/٦٨ .

[2] التسهيل لعلوم التنزيل ، ٤/١٨٥ - ١٨٦ .

[3] تفسير الطبرى ، جامع البيان فى تفسير القرآن ، المجلد الثانى عشر ، ص ٥٧ ، دار المعرفة ، بيروت .

وفى تعديه الفعل يشرب بالباء بدلاً من حرف الجر من ، كما يقضى بذلك وضع اللغة – فى هذه إشارة – إلى أن هذه العين هى شراب ، وأداة للشرب أيضاً ، فهم يشربون بهذه العين من العين .

الفصل الثالث

ببيان ذم الاستهزاء

المبحث الأول : تعريف الاستهزاء

المبحث الثاني : حكم الاستهزاء

المبحث الثالث : ذم الاستهزاء

الفصل الثالث

بيان ذم الاستهزاء

قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ، وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ، فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، بعد أن وضحت الآيات السابقة مقابلة بين الفجار والأبرار وأعمالهم وجزاء كل فريق ، تحدثت الآيات التى تلتها وهى من قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إلى نهاية السورة موضحة بفريق الاستهزاء وحكمه وذمه فى آيات ثمانية من مباحث ثلاث مبينة لموقف الكافرين من المتقين ، وما يعاقب به الكافرين يوم القيامة مجازاً لهم على هذا الموقف .

وعرفنا من صفات الفجار من الفقرة الأخيرة ضحكهم من المؤمنين وتغامزهم منهم ، ورويتهم أن أهل الايمان على ضلال وفى مقابل ذلك عرفنا من خصائص الأبرار الايمان .

وهكذا أعطتنا سورة المطففين مزيد بيان فى صفات الفجار أو فى صفات المتقين ، وكذلك صلاته بمحور السورة .

أخبرت السورة أن المجرمين كانوا فى الدنيا يسخرون بالمؤمنين ، فيتغامزون عند مرورهم عليه أحتقاراً لهم وازدراءً ، ومع هذا نراهم مؤمنين أى مطمئنين لا يخطر الخوف عليهم على بالهم وإذا أنقلبوا إلى أهلهم صباح

مساء ، أنقلبوا مسرورين فكهين متلذذين ، وهذا أشد ما يكون من الاغترار أنهم جمعوا بين غاية الإساءة مع الأمن فى الدنيا حتى كأنهم قد جاءهم كتاب وعهد من الله أنهم من أهل السعادة ، ولقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى وأن المؤمنين ضالون ، إفتراء على الله وتجرأوا على القول عليهم .

قال الله تعالى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [1] ، هؤلاء الذين ذمهم الله فى الدنيا والآخرة ، لأنهم وقفوا ضد الاسلام ، ولأنهم واجهوه ولم يتبعوه ولو اتبعوه لسعدوا فى الدنيا والآخرة .

---

[1] سورة البقرة ، الآيات ١٥ - ١٦ .

المبحث الأول

تعريف الاستهزاء

المبحث الأول

تعريف الاستهزاء

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ، وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ .

ذكر الله تعالى بعض قبائح المشركين فقال : إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وهم كفار قريش ومن وافقهم على الكفر (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) أى كانوا فى الدنيا يستهزئون من المؤمنين أى يسخرون منهم ويضحكون ، إن المجرمين الذين من طبيعتهم الاجرام وارتكاب الآثام كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم ، والمشاهد التى يرسمها القرآن لسخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا وسوء أدبهم معهم وتطاولهم عليهم ووصفهم بأنهم ضالون ، مشاهد منتزعة ومن واقع البيئة فى مكه ، ولكنها متكررة فى اجيال وفى مواطن شتى ، وكثير من المعاصرين شهدوها كأنما هذه الآيات قد نزلت فى وصفها وتصويرها ، مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة فى موقعها من الابرار فى جميع البيئات والعصور .

قال سيد قطب [1] فى قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) كانوا فقد طوى السياق الدنيا العاجلة الزائلة فإذا المخاطبون به فى الآخرة يرون نعيم الأبرار الذين آمنوا ، وهو يذكر لهم ما كان من أمر الدنيا !

---

[1] مرجع سابق ، المجلد السادس ، ١٠٣/٢٦ .

أنهُمْ كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا استهزاءً بهم ، وسخرية منهم ، إما لفقرهم ورثاثة حالهم وإما لضعفهم عن رد الأذى ، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء ، فكل هذا مما يثير ضحك الذين أجرموا وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم المرزولة ، وهم يسلطون عليهم الأذى ، ثم يضحكون الضحك اللئيم الوضيع ، مما يصيب الذين آمنوا ، وهم صابرون مترفعون متجملون بأدب المؤمنين .

ونقف لحظة أمام هذا المشهد الذى يطيل القرآن عرض مناظره وحركاته -مشهد سخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا فى الدنيا - كما أطال من قبل فى عرض مشهد نعيم الأبرار وعرض مناظره ومناعمه فنجد أن هذه الاطالة من الناحية التأثيرية فن عال فى الأداء ، كما أنه فن عال فى العلاج الشعورى فقد كانت القلة المسلمة فى مكة تلاقى من عنت المشركين واذاهم ما يفعل فى النفس البشرية بعنف وعمق ، وكان ربهم لا يتركهم بلا عون من تثبيته وتربيته وتأسيته .

وقال فى التسهيل [1] : نزلت هذه الآية فى صناديد قريش كأبى جهل [2] وغيره ، مر بهم سيدنا على بن أبى طالب وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم ، وقال ابن كثير فى تفسيره أن الذين اجرموا يعنى كفار قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون ، أى استهزاء بهم لإيمانهم بالله وحده وبما أوحاه إلى رسوله صلوات الله عليه وسلامه ، ونبذهم ما ألفوا عليه أباؤهم ، قال الإمام الَّذِينَ أَجْرَمُوا هم (المعتدون) أى الأئمة الذين شربت

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل ، ١٨٦/٤ .

[2] أبوجهل الذى كان واقفاً امام الدعوة الاسلامية ، أولاً فى غزوة بدر ، وكان زعيم الكفر ، وكان أول المقاطعين إلى الرسول ﷺ وبنى هاشم فى الشعب .

نفوسهم من الشر ، وصمت آذانهم عن سماع دعوة الحق ، هؤلاء كانوا يضحكون من الذين آمنوا ذلك لأنهم حين رحم الله هذا العالم ببعثت النبى ﷺ كان كبار القوم وعرفاؤهم على رأى الدهماء وفى ضلالة العامة وكانت دعوة الحق خافتة لا يرتفع بها صوته عليه السلام ثم يهمس بها بعض من يليه ويجيب دعوته من الضعفاء ، الذين لم تطمس أهواؤهم سبيل الحق إلى قلوبهم فيسر بها إلى من يرجوه ، ولا يستطيع الجهر بها لمن يخافه ، ومن شأن القوى المستعذ بالقدرة والكثرة ان يضحك من يخالفه فى المنزع ، ويدعوه إلى غير ما يعرفه وهو أضعف منه قوة وأقل عدداً .

كذلك كان شأن جماعة من قريش كأبى جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم ، وهكذا يكون شأن أمثالهم فى كل زمان ، متى ما عمت البدع وتفرقت الشيع ، وخفى طريق الحق بين طرق الباطل ، وجهل معنى الدين ، وأزهقت روحه من عباداته وأساليبه ، ولم يبق إلا ظواهر لإنطباقها البواطن ، وتحكمت الشهوات ، فلم تبق رغبة تحدو بالناس إلى العمل إلا ما تعلق بالطعام والشراب والزينة والرياسة والمناصب والألقاب وتشبثت الهمم بالمجد الكاذب وذهب الناقص يستكمل ما نقص منه بتنقيص الكامل واستوى فى ذلك الكبير والصغير والأمير والمأمور والجاهل والملقب بلقب العالم إذا صار الناس إلى هذه الحال ضعف صوت الحق ، وازدرى السامعون منهم بالداعى إليه ، وذكر الله تعالى الذين أجرموا بالكفر ، أى اكتسبوه كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين ويستخفون بهم ويتخذونهم هزواً ، ويروى أنها نزلت فى صناديد قريش وضعفت المؤمنين ، وروى أنها نزلت بسبب أن على بن أبى طالب وجماعة معه من المؤمنين مروا بجمع من الكفار فى مكة

فضحكوا منهم واستخفوا بهم عبثاً ، ونقصان عقل ، فنزلت الآية فى ذلك ، قال إبن عباس [1] فى تفسيره إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا إلى آخر الآية كالوليد وعقبة بن ابى معيط والعاصى بن وائل والأسود بن عبد يغوث والعاص بن هشام وأبو جهل والنضر بن الحارث ، واولئك الذين آمنوا من اصحاب محمد ﷺ مثل عمار وخباب وصهيب وبلال ، قال قتادة [2] فى البحر [3] (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) أى كانوا يستهزءون من الفقراء وفى الكشاف [4] حكاية عن المنافقين أنهم قالوا : رأيت اليوم الأصلع يعنون علياً [5] كرم الله وجهه ، وإنما قالوا استهزاءً وتقديم الجار والمجرور ، إما للقصر إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ) مع ظهور عدم استخفافهم بذلك على منهاج قوله تعالى ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [6] لمراعاة الفواصل

وفى مقدمة سورة البقرة كلام عن المتقين (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ... واولئك هم المفلحون) [7] ، وعن الكافرين ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... إلى .. وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [8] .

وفى الفقرة الأخيرة من نفس السورة (واذا مرو بهم يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضاً استهزاءً وسخرية .

---

[1] الطبرى ابن يحيى محمد بن صادح ، المجلد الثامن عشر ، ص ٩٢ .

[2] قتادة ، سبقت ترجمته ، ص (١٨) .

[3] البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بابى حيان ، الجزء الثامن ، ص ٤٤٢ ، الطبعة الثانية .

[4] الكشاف ، المجلد الثامن ، ٨٣/٢ .

[5] على كرم الله وجهه لم يسجد لصنم وانه آمن وعمره عشرة سنين وتربى فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم .

[6] سورة إبراهيم ، من الآية ١٠ .

[7] سورة البقرة ، الآيات ٢ إلى ٥ .

[8] سورة البقرة ، الآيات ٦ - ٧ .

قال السيوطى [1] فى تفسير (هذا دلالة على تحريم السخرية بالمؤمنين والضحك منهم التغامز عليهم ، وذكر ابن المبارك فى تفسير الجلالين أخبرنا الكلبى فى قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ ، وهى عودة بالمشركين المجرمين إلى الحياة الدنيا إلى مساكنهم التى زايلوها فيها ، بعد هذه النقلة السريعة التى انتقلوا بها إلى الدار الآخرة ، وشهدوا فيها ما أعد الله لهم هناك من عذاب ونكال ، وإذا يعود إلى مساكنهم من دنياهم ، يرون بين ايديهم مشهداً من تلك المشاهد المتكررة التى يعيشون فيها مع أهل الايمان والاحسان أنهم يتخذون من المؤمنين مسرحاً للضحك منهم والسخرية بهم ، فإذا مر بهم المؤمنون تغامزوا ، أى غمز بعضهم بعضاً بالاشارة من أعينهم أو غمزات باكتافهم وكأنهم أمام مشهد عجيب غريب يثير العجب والضحك .

وفى ظلال جاء تفسير قوله تعالى (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) يغمز بعضهم لبعض بعينه ، أو يشير بيده ، أو يأتى بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين ، وهى حركة وضيعة تكشف عن سوء الأدب ، والتجرد من التهذيب بقصد إيقاع الانكسار فى قلوب المؤمنين ، واصابتهم بالخجل والربكة ، وهؤلاء الاوغاد يتغامزون عليهم ساخرين ! .

قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [2] ، وقال تعالى ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [3]

---

[1] السيوطى على الصاوى ، الجزء الرابع ، ص ٢١٥ ، طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى .

[2] سورة الهمزة ، الآية ١ .

[3] سورة القلم ، الآية ١١ .

وقال الشوكانى (وإذا مروا بهم) أى وإذا مر المؤمنون بالكفار وهم فى مجالسهم (يتغامزون) من الغمز ، وهو الإشارة بالجفون والحواجب ، أى يغمز بعضهم بعضا ، ويشيرون بأعينهم وحواجبهم وقيل يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به .

(وإذا مروا) أى المؤمنين بهم أى بالذين أجرموا فى أنديتهم (يتغامزون) استهزاء بالمؤمنين وإرجاع ضمير مروا للمؤمنين وبهم للمجرمين هو الأظهر والأوفق لحكاية سبب النزول ، واستظهر أبو حيان العكس معللاً له بتناسق الضمير .

ويحتمل ان يكون ضحك المجرمين وتغامزهم على المؤمنين من جدهم فى عبادتهم وكثرة صلاتهم وصيامهم وأنكارهم الجزاء والبعث ، ويجوز أن يكون ضحكهم إنكاراً وتعجب من قولهم بالاعادة والاحياء العظام الرميمة ، ويحتمل أن يكون ذلك لغلوهم فى كفرهم وجهلهم لإيهام العوام أنهم على حق وأن المسلمين على . فكانوا يضحكون ويتغامزون أى يقول هؤلاء المجرمون أنهم على حق وان محمداً ﷺ ما أنزل عليه الوحى وانه رسول وانا نبعث ونحو ذلك باطلا عن مقاتل والكلبى وذكر الحاكم أبو القاسم الحسنانى فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بأسناده عن أبى صالح عن إبن عباس [1] قال : إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا هم منافقوا قريش والذين آمنوا هم على بن أبى طالب وأصحابه ، وقال الصابونى : قال المفسرون أمثال الفراء وابن كثير وغيرهم ، كان المشركون إذا مر بهم أصحاب رسول ﷺ يتغامزون

إحتقاراً لهم ويقولون جاءكم ملوك الدنيا يسخرون منهم لإيمانهم واستمساكهم للدين .

قال تعالى ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ ، أى هؤلاء المجرمون إذا رجعوا من مجالسهم إلى أهلهم أنقلبوا فكهين أى متلذذين بالسخرية وحكاية ما يعيبون به أهل الايمان ، أو بما هم فيه من الشرك والطغيان والتنعم بالدنيا ، وهذا شأنهم بعد أن ينقض مجلسهم الآثم الذى جرحوا فيه المؤمنين بتغامزهم وتلامزهم أنهم يعودون من هذا المجلس إلى أهلهم وعلى أفواههم طعم هذا المنكر الذى طعموه فيها يتشدقون به ويقصون على أهلهم ما دار على ألسنتهم من فجور ، وما رموا به المؤمنين من هجر القول وفجره ، يجعلون مادة للتندر والتفكه .

وفى تفسير الجلالين [1] : أَنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ صباحاً ومساءً (أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ) اى مسرورين مغتبطين ، وهذا أشد ما يكون من الاغترار ، أنهم جمعوا بين غاية الاساءة مع الأمن فى الدنيا ، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب وعهد من الله ، انهم أهل السعادة ، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى وان المؤمنين ضالون ، افتراء على الله وتجرءوا على القول عليه بلا علم ، وفكهين معناه أصحاب فكاهة ومرح ونشاط وسروراً باستخفافهم بالمؤمنين يقال رجل فاكه وتامر وهكذا بألف هى قراءة الجمهور ، ويقال رجل فكهٌ من هذا المعنى وقرأ حفص عن عاصم فكهين بغير ألف وهى قراءة ابى جعفر وأبى رجاء والحسن وعكرمة ، قال الفراء [2] : هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر ،

---

[1] تفسر الجلالين ، على الصاوى ، الجزء الرابع ، ص ٢٥١ .

[2] قال الفراء فى فتح القدير ، للشوكانى ، المجلد الخامس ، ص ٤٠٣ .

والفكه هو الأشر البطر ، والفكاهة هو الناعم المتنعم ، وقيل فكهين بمعنى فرحين ، وفَاكِهِينَ قيل متفكهين ، وقيل ناعمين وقيل مادحين ، قال فى البحر : أى رجعوا متلذذين بذكرهم ، وبالضحك منهم واستخفافاً بأهل الايمان ، وكان المراد بذلك الاشارة إلى أنهم يعدون صنيعهم ذلك من أحسن ما اكتسبوه فى غيبتهم عن أهلهم أو أن له وقعاً فى قلوبهم ولم يفعلوه مراعاة لأحد ، وانما فعلوه لأنفسهم ، وقيل فيه اشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بما رأى من المارين بهم ، ويكتفون حينئذٍ بالتغامز ، وقال سيد قطب فى ظلال القرآن (وإذا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ) بعدما اشبعوا نفوسهم الصغيرة الردئية من السخرية بالمؤمنين وايذائهم (انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) راضين عن أنفسهم ، مبتهجين بما فعلوا مستمتعين بهذا الشر الصغير الحقير ، فلم يتلوموا ولم يندموا ، ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا ، وهذا منتهى ما تصل إليه النفس من إسفاف وموت ضمير .

(وإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا ، إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) وهذه أعجب ... فليس أعجب من أن يتحدث هؤلاء الفجار المجرمون عن الهدى والضلال وأن يزعموا حين يرون المؤمنين ، وأن المؤمنين لضالون ، ويشيروا اليهم مؤكدين لهذا الوصف فى تشهير وتحقير ، (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ)

والفجور لا يقف عند حد ، ولا يستحى من قول ولا يتلوم من فعل واتهام المؤمنين بأنهم ضالون حين يوجهه الفجار المجرمون ، إنما يمثل الفجور فى طبيعته التى هى تجاوز لجميع الحدود .

وقال الصابونى : إذا رأى الكفار المؤمنين قالوا إن هؤلاء لضالون لإيمانهم بمحمد ﷺ وتركهم شهوات الحياة ، وتمسكهم بما جاء به ، وليس هذا كل ما أعد المجرمين من كيد المؤمنين ، بل أنهم كلما رأوا أحد من المؤمنين ، أشاروا إليه كمعلم من معالم الضلال ، وكأنهم **يَسْتَهْزِئُونَ** عليه من هذا الطريق الذى يسير فيه ، فيقول بعضهم لبعض أنظروا إلى هذا المسكين المغرور ، الذى يمنيه محمد بالجنة ونعيمها !! إنه مسكين ، لقد وقع فريسة لخداع محمد وتمويهه .

قال السيوطى [1] : وإذا رأوهم ، أى رأوا المؤمنين قالوا : إن هؤلاء لضالون لتركهم ما عليه العامة ، والاعتصام بغيره ، ويعنون بالمؤمنين جنس المؤمنين مطلقاً لاخصوص المرئيين منهم ، والتأكيد لمزيد الاعتناء بسبهم ، وإذا رأوهم رؤيَ المشمئز ، قالوا إن هؤلاء المؤمنين يتركون ملذاتهم وحياتهم بأتباعهم محمد هؤلاء هم الضالون عن الطريق السوى طريق الآباء والأجداد ، قال تعالى ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، وإنما معنى الآية (إذا رأى المؤمنون الكافرون قالوا : إنّ هؤلاء لضالّون ، وهو الحق فيهم ولكن ذلك يثير الكلام بينهم ، فكان فى الآية حضاً على الموادعة) [2] .

---

[1] سبقت ترجمته ، ص (٨٥) .

[2] الاتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين السيوطى ، ٣/١ .

المبحث الثاني

حكم الاستهزاء

المبحث الثانى

حكم الاستهزاء

قال تعالى (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) وما أرسلوا على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم أعمالهم ويرشدون برشدهم وضلالهم .

قال ابن كثير فى تفسيره [1] : أى ما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المومنين على ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ، ولا كلفوا بهم ، فلم يشتغلوا بهم ، وجعلوهم نصب أعينهم ، وما أرسلوا على الكفار حافظين ، وفى الأشارة اليهم بأنهم ضالون ، إشارة للكلام بينهم ، وكأن فى الآية بَعْضَ موادعة ، أى أن المؤمنين لم يرسلوا حافظين على الكفار أنكاراً لصدهم ، يصف هذه المواجع فهو يراها وهو لا يمهلها ، وان أمهل ألكافرين حيناً ، وهذا وحده يكفى قلب المؤمن ويمسح على آلامه وجراحه ، ان الله يرى كيف يسخر منهم الساخرون وكيف يؤذونهم المجرمون وكيف يتفكهون بآلامهم ومواجعهم المتفكهون ، وكيف لا يتلوم هؤلاء السفلة ولا يندمون ، أن الله يرى هذا كيف يسخر منهم الساخرون وكيف يؤذونهم المجرمون وكيف يتفكهون بآلامهم ومواجهتهم المتفكهون ، وكيف لا يتلوم هؤلاء السفلة ولا يندمون ، أن الله يرى هذا كله ، ويصفه فى تنزيله ، فهو إذا شئ فى ميزانه ، وهذا يكفى نعم هذا يكفى حيث تستشعره القلوب المؤمنة مهما كانت مجروحة موجوعة .

---

[1] تفسير ابن كثير ، للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، المتوفى ، ٧٧٤هـ ، المجلد الرابع ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . ص ٤٨٤ .

قال فى البحر [1] : (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) جملة حالية من ضمير قالوا ، أى قالوا ذلك ، والحال انهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى على المؤمنين موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ، ويهيمنون على أعمالهم ، ويشهدون برشدهم وضلالهم ، وهذا تهكم واستهزاء بهم ، واشعاراً بأن ما اجترءوا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وجور أن يكون من جملة قول المجرمين والأصل ، وما أرسلوا علينا حافظين إلا أنه قيل عليهم ، نقلاً بالمعنى ، على نحو قال زيد ليفعلن كذا وغرضهم بذلك انكار ضد المؤمنين أياهم عن الشرك ودعائهم إلى الايمان .

قال سيد قطب : (والقرآن لا يقف ليجادل عن الذين آمنوا ، ولا لينـاقش طبيعة الغربة فهى كلمة فاجرة لا تستحق المناقشة ولكنه يسخر سخرية عالية من القوم الذين يدسون أنوفهم فيما ليس من شأنهم ، ويتطفلون بلا دعوة من أحد فى هذا الأمر (وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) ، وما وكلوا بشأن هؤلاء المؤمنين وما أقيموا عليهم رقباء ، ولا كلفوا وزنهم وتقدير حالهم ، فما لهم وهذا الوصف وهذا التقرير .

وينهى بهذه السخرية العالية حكاية ما كان من الذين أجرموا فى الدنيا ، ويطوى هذا المشهد الذى انتهى ، وقال الصابونى فى قوله تعالى ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [2] ، أى وما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين ، يحفظون أعمالهم ويشهدون عليهم ، وفيه سخرية بالكفار ، كأنه يقول : أنا ما أرسلتهم رقباء ، ولا وكلتهم بحفظ أعمال عبادى المؤمنين ، حتى يرشدوهم إلى

---

[1] تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، ٤٤٣/٨ ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر .

[2] سورة المطففين ، الآية ٣٣ .

مصالحهم ، فلم يشغلون أنفسهم فيما لا يعنيهم ؟ فكيف يظنون عليهم لو اشتغلوا بما كلفوه كان ذلك أولى بهم ، فكيف يطرون عليهم وقيل وما أرسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين ، أى ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة .

وقوله تعالى (وَمَا أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) هو رد على هؤلاء المجرمين وعلى أنكارهم على المؤمنين ما هم فيه أنه لم يرسلوا عليهم حافظين لهم حارسين لما يتهددهم من سوء ! وقد كان الأولى بهؤلاء المجرمين الضالين أن ينظروا إلى أنفسهم ، وأن يحفظوها من هذا البلاء الذى اشتمل عليهم ولكن هكذا ! أهل السوء أبداً يشغلون عن أنفسهم ومن حراستها من المهالك ، عن عيوب الناس ، أنهم ما أرسلوا وكلاء على المؤمنين وما هذا منهم إلا تعند وعناء وتلاعب ليس له برهان ، ولهذا كان جزاؤهم فى الآخرة من جنس عملهم ، وهل أرسل اولئك الفجار الكفار حافظين وشاهدين على المسلمين ، ليس الأمر كذلك ، ولكن يشهد المسلمون على العقيدة وعدم الجحود ، إلا أنه ما أرسلوا عليهم حافظين .

ولكن أيترك ربك عباده وأولياءه بدون جزاء ، لابد من الجزاء وفاقاً لعملهم الصالح ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [1] ، ما جزاء الاحسان فى الدنيا إلا أنهم يجازون فى الآخرة بحسن العمل ، إن خيراً فخيراً ، وهذا جزاء المحسنين .

---

[1] سورة الرحمن ، الآية ٦٠ .

المبحث الثالث

ذم

الاستهزاء

المبحث الثالث

ذم الاستهـــزاء

قـال تعـالى ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ .

(فَالْيَوْمَ) والمراد به هو يوم القيامة ، الَّذِينَ آمَنُوا أى المومنـون مـن الكفـار يضحكون فى ذلك اليوم حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد نـزل بهـم مـا نـزل مـن العذاب ، كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا ، فقد جازى الله الكفار بجهنم وسعيرها لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ، وجازى المؤمنين بالجنة والحور العين والولدان ، يتمتعون فيها وبنعيمها الذى يكون مدخراً لهم قال فى البحر [1] : (فاليوم الذى فيه المؤمنون يضحكون على الكفار لسوء عملهم فى الآخرة يعذبون ، لاضحك الجاهل المغرور بل ضحك المؤمن الموفق المسرور ، ضحك من وصل إلى نتيجة عمله بعد طول المشقة وبعد المسافة ، ضحك من إنكشف له الحق فسر له ، وبقدومه عليه ، لأنه حق والحق يجب أن يتبع .

استدل العلماء بالآيات على ما يأتى الكفار دائماً فى عداوة وحقد مع المؤمنين، فلا يلتقى الايمان مع الكفر ، ولا الدين الصحيح مع الضلال ولا الأخلاق العالية مع الأخلاق المرزولة – فقد كان يصدر من المشركين ألوان

---

[1] البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الاندلسى ٤٤٣/٨ ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

متعددة من أذى المؤمنين منها ما ذكرته الآيات وهو الاستهزاء والسخرية من المؤمنين ، ويصيبهم والطعن به ويعيرهم بالاسلام ، والتفكه بذكر المسلمين بالسوء امام اهاليهم ، والعجب بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا وقولهم بأن المؤمنين فى ضلال لتركهم دين الآباء والأجداد واتباعهم محمد ﷺ وتركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب غير مؤكد الحصول .

قوبل الكفار فى الآخرة بمثل فعلهم وقولهم تسلية للمؤمنين وتثبيتاً لهم على الاسلام وتصبراً على متاعب التكاليف وأذية الاعداء فى أيام معدودة لنيل ثواب لا نهاية له ، ولا غاية فى الآخرة يهزئ المؤمنون بالكافرين ويضحكون منهم كما ضحكوا هم فى الدنيا عليهم لتعذيبهم ولعملهم المشين الذى لا ينفعهم فى هذه الحياة الأخروية .

قال الواحدى فى تفسير الشوكانى [1] : قال المفسرون كابن كثير والقرطبى [2] والزحيلى [3] : إن أهل الجنة إذا ارادوا نظروا من منازلهم إلى اعداء الله وهم يعذبون فى النار فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم فى الدنيا ، وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم هلُمّ ! هلُمّ ! فإذا وصلوا إليها اغلق دونهم بفعل ذلك مراراً حتى ان أحدهم يقال له هلم ! فما يأتى من إياسه .

(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا) أى المعهودون فى الفقراء (مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) ، أى من المعهودين ، قال فى البحر وجوز التعميم من الجانبين (يضحكون)

---

[1] فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى ، المجلد الخامس ، توزيع مكتبة المعارف ، الرياض ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

[2] القرطبى ، ١٧/١٧ ، طبعة بيروت .

[3] التفسير المنير ، الدكتور وهبة الزحيلى ، ٢٩ - ٣٠ فى العقيدة والشريعة ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الجزء الثالث ، ص ١١٢ - ١١٣ .

حين يرونهم أذلاء مغلوبين ، قد غشيتهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ، ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعيم ، والترفه ، والظرف والجار والمجرور متعلقان بيضحكون ، وتقديم الجار والمجرور ، قيل للقصر تحقيقاً للمقابلة أى واليوم هم من الكفار يضحكون ، لا الكفار منهم ، لما كانوا يفعلون فى الدنيا .

قوله تعالى (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم ، إلى ما هم فيه من سوء الحال ثم أن ربهم يسخر من المجرمين ، سخرية رفيعة عالية ، فيها تلميح موجع قد لا تحسه قلوب المجرمين المطموسة المغطى بالرين والمطبق عليها من الذنوب ، ولكن قلوب المؤمنين الحساسة المرهفة تحسه وتقدره ، وتستريح إليه .

ثم أن هذه القلوب المؤمنة تشهد حالها عند ربها ونعيمها فى جناته ، وكرامتها فى الملأ الأعلى ، على حين تشهد حال اعدائها ، ومهانتهم فى الملأ الأعلى ، وعذابهم فى الجحيم مع الاهانة والترزيل تشهد هذا ، وذلك فى تفصيل وتطويل وهى تستشعر حالها وتتذوقه تذوق الواقع اليقين ، وما من شك أن هذا التذوق يمسح على مرارة ما هى فيه من أذى وسخرية وقلة وضعف .

قال سيد قطب [1] : (ومما يلاحظ أن هذا وحده التسلية الالهية للمؤمنين المعذبين المألومين من وسائل المجرمين الخسيسة وأذاهم البالغ ، وسخريتهم ، الجنة للمؤمنين والجحيم للكافرين وتبديل الحالتين بين الدنيا والآخرة تمام التبديل وهذا كان وحده الذى وعد به هذا النبى ﷺ المبايعين له وهم يبذلون

[1] مرجع سابق ٢٦ - ٣٠/٣٨٦٠ - ١٣٦٢ .

الأموال والنفوس ، وهذه القلوب كان يجن أن تكون فى الصلابة والقوة والتجرد ، بحيث لا تتطلع وهى تبذل كل شئ إلى شئ فى هذه الأرض ولاتنتظر إلا الآخرة ولا ترجو إلا رضوان الله ، فى عذاب فى عذاب وتضحية واحتمال بلا جزاء فى الأرض قريب ، وان تنتظر الآخرة وحدها موعداً للجزاء ، وموعداً كذلك للفصل بين الحق والباطل .

قال ابن كثير [1] : عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ أى إلى ربهم عز وجل فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ، ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ، ينظرون إلى ربهم فى دار كرامته .

(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) أى جوزوا ثواب ما كانوا يفعلون فى الدنيا ، والجملة متعلقة بـ (يَنْظُرُونَ) فى محل نصب ، بعد اسقاط الجار والمجرور ، أو مستأنفة ، والاستفهام للتقرير ، كأنه خطاب للمؤمنين تعظيماً لهم ، وتكريماً وزيادة فى مسرتهم ، أى هل رأيتم كيف جازى الله الكافرين بأعمالهم ، أى أنه فعل ، ما مصدرية أو موصولة ، وثوبه وأثابه بمعنى جازاه وهو من ثاب بمعنى رجع ، فالثواب ما يرجع على العبد فى مقابلة عمله ويستعمل فى الخير والشر .

وقوله تعالى (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) هو بيان للحالة التى عليها المؤمنون هم يضحكون وهم جالسون مستريحون على الارائك على حين يتقلب المجرمون على جمر جهنم ، وقول الله تعالى (يَنْظُرُونَ) حالة أخرى من أحوال المؤمنين وهم يضحكون على الكفار حال جلوسهم على الارائك ينظرون ، أى يملئون عيونهم من نعيم الجنة الذى يحق بهم ، وينظرون حال

---

[1] سبقت ترجمته ، ص (٦٤) .

من الضمير فى يضحكون ، أى يضحكون ناظرين اليهم ، وإلى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العز والنعيم ، وقال كعب [1] لأهل الجنة كوه [2] ينظرون منها لأهل النار وقيل ستر شفاف يرون منه حالهم ، وقال غيره بينهم جسم عظيم شفاف يرون منه حالهم .

وذكر ابن المبارك أخبرنا الكلبى من قوله تعالى (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) يقال لأهل النار وهم فى النار أخرجوا فتفتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم على الارائك أى فى سررهم على الحجال ، فإذا انتهوا إلى أبوابها اغلقت دونهم فذلك قول الله يستهزئ بهم ، ويضحك منهم المؤمنون ، حين أغلقت دونهم الأبواب ، فذلك قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾

ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [3] .

وقوله تعالى (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ، يجوز أن يكون معمولاً لقوله تعالى (يَنْظُرُونَ) أى المؤمنون وهم على الأرائك ليروا هل ثوب الكفار ، أى هل جوزوا بما كانوا يفعلون ؟ وذلك ليتحقق لهم وعيد الله فى أهل الضلال كما تحقق لهم وعده فى أهل الايمان ، ويجوز أن يكون هذا كلاماً

---

[1] هو كعب الاحبار ، بن ماتع الحميرى،اليمانى العلامة الحبر الذى كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبى ﷺ وقدم المدينة من اليمن فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

[2] كوه هى فتحة صغيرة على الجدار .

[3] سورة المؤمنون ، الآيات من ١٠٨ - ١١١ .

مستأنفاً يراد به تبكيت الكفار وهل جوزوا الجزاء الذى يستحقونه ؟ أم ان هنالك مزيداً من العذاب يريدونه أن كان فوق ما هم فيه مزيد ؟

(هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ) هل أثيبوا ما كانوا يفعلون ، قرأ الكسائى وحمزة بأدغام اللام فى الثاء (ثوب) فإن النبىّ ﷺ قال : [من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة] .

قال النسفى هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا إذا فعل بهم ؟ وقال ابن كثير : هل جوزى الكفار ما كانوا يقابلونهم به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا ؟ نعم قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله .

وقال سيد قطب هل ثوبوا ؟ هل وجدوا ثواب ما فعلوا ؟ وهم يجدوا (الثَّوابُ) المعروف من الكلمة ، فنحن نشهدهم اللحظة فى الجحيم ؟ ولكنهم من غير شك لاقوا جزاء ما فعلوا ، فهو ثوابهم اذاً ، ويالليسخرية الكامنة فى كلمة الثواب فى هذا المقام ؟ ونقف لحظة أمام هذا المشهد الذى يطيل القرآن عرض مناظره وحركاته مشهد سخرية الذين اجرموا من الذين آمنوا فى الدنيا كما أطال من قبل مشهد نعيم الأبرار وعرض مناظره ومناعمه ، فنجد أن هذه الإطالة من الناحية التأثيرية فن عال فى الأداء التعبيرى كما أنه فن عال فى العلاج الشعورى ، فقد كانت القلة المسلمة فى مكة تلاقى من عنت المشركين واذاهم ما يفعل فى النفس البشرية بعنف وعمق ، وكان ربهم لا يتركهم يلاعون من تثبيته وتسريته وتأسيته .

وهذا التصوير المفصل لمواجهتهم من أذى المشركين فيه بلثم لقلوبهم ، فربهم هو الذى يصف هذه المواجع فهو يراها وهو لا يهملها ، وإن أمهل الكافرين حيناً .

وفى البحر : الاستفهام لتقرير المؤمنين والمعنى قد جوزى الكفار ما كانوا يفعلون ، وقيل هو ثوب متعلق بينظرون والجملة فى موضع نصب بعد اسقاط حرف الجر الذى هو إلى ، وما مصدرية أو موصوله ، والعائد محذوف إلى يفعلونه والكلام بتقدير مضاف ، أى ثواب أو جزاء ما كانوا يفعلون ، وقيل هو بتقدير باء السببية ، أى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون .

وقال الطبرسى [1] (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ، أى هل جوزى الكفار ! إذا فعل بهم هذا الذى ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين فى الدنيا وهو استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى أثيب وقبل معناه يتصل بما قبله ، ويكون التقدير أن الذين آمنوا ينظرون هل جوزى الكفار بأعمالهم وتكون الجملة متعلقة بينظرون وعلى القول الأول يكون استئناف كلام لا موضع له من الإعراب ، وانما قال هو ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ، استعمل لفظ الثواب فى العقوبة ، لأن الثواب فى أصل اللغة الجزاء الذى يرجع إلى العمل يعمله ، وأن كان فى العرف اختص إلى الجزاء بالنعيم على الأعمال الصالحة فاستعمل هنا على أصله ، وقيل لأنه جاء فى مقابلة ما فعل بالمؤمنين ، أى هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول يكون من قبل الله أو تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيهاً لهم على أن الكفار جوزوا على كفرهم ، واستهزائهم بالمؤمنين ما استخفوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى

---

[1] الطبرسى ، هو الشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرى ، مجمع البيان فى تفسير القرآن ، المجلد السادس ، بيروت .

سرورهم يحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سروراً بما ينزل بحال الكفار ، وكل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول ، إذا كانت الجملة كلاماً مستأنفا لا تعلق له بما قبله ، ويضحك المؤمنون منهم ، وتقلب منهم وتعقب بأن قوله تعالى (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يأباه فأبه فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلابد من المجانسة والمشاكلة حتماً ، والحق لا إباء ، كما لا يخفى ، والتثويب والاثابة والمجازات ، ويقال ثوبه واثابه إذا جازاه .

وظاهر كلامهم إطلاق ذلك على المجازاة بالخير والشر ، واشتهر بالمجازاة بالخير ، وجوز حمله عليه هنا على أن المراد التهكم كما قيل به ، فى قوله تعالى ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [1] ، ﴿وَذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [2] ، فإنه تعالى يقول للمؤمنين هل اثبنا هؤلاء ما كانوا يفعلون ، كما اثبناكم على ما كنتم تفعلون ، فيكون هذا القول زائداً فى سرورهم ، كما فيه من تعظيم والاستخفاف بأعدائهم والجملة الاستفهامية حينئذ معمول لقول محذوف وقع حالاً من ضمير ينظرون أى يضحكون أو ينظرون مقولاً لهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ، ولم يتعرض لذلك الجمهور .

قال ابن عباس [3] : هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ أى هل جوزى الكفار على فعلهم فى الدنيا ؟ لا هل جوزى المؤمنون على أعمالهم ؟ نعم : جوزى المؤمنون على

---

[1] سورة الانشقاق ، الآية ٢٤ .

[2] سورة الدخان ، الآية ٤٩ .

[3] عبدالله بن عباس ، حبر الأمة وفقيه العصر ، وأمام التفسير أبو العباس عبدالله بن عم النبى ﷺ .

عملهم الصالح الجزاء الأوفى ويقول تعالى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [1] .

هل جوزى الكفار على أعمالهم ؟ نعم لأن عملهم سيئ ومشين ، نعم يجازون على فعلهم القبيح المنكر .

ما جزاء الاحسان فى الدنيا إلا المكافأة فى الآخرة بدخول الجنة ، والنظر إلى الله تعالى لقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [2] ، أحسنوا العمل فى الدنيا ، والحسنى هى دخول الجنة ، والزيادة هى النظر إلى الله فيها ، لقوله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [3] ، وقوله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [4] ، يَتَمَتَّعُونَ فِيهَا ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ، جَزَاءً بِمَا قَدَّمُوا من عملهم الطيب .

---

[1] سورة الاسراء ، الآية ٧ .

[2] سورة يونس ، الآية ٢٦ .

[3] سورة القيامة ، الآية ٢٣ .

[4] سورة الحجر ، الآية ٤٨ .

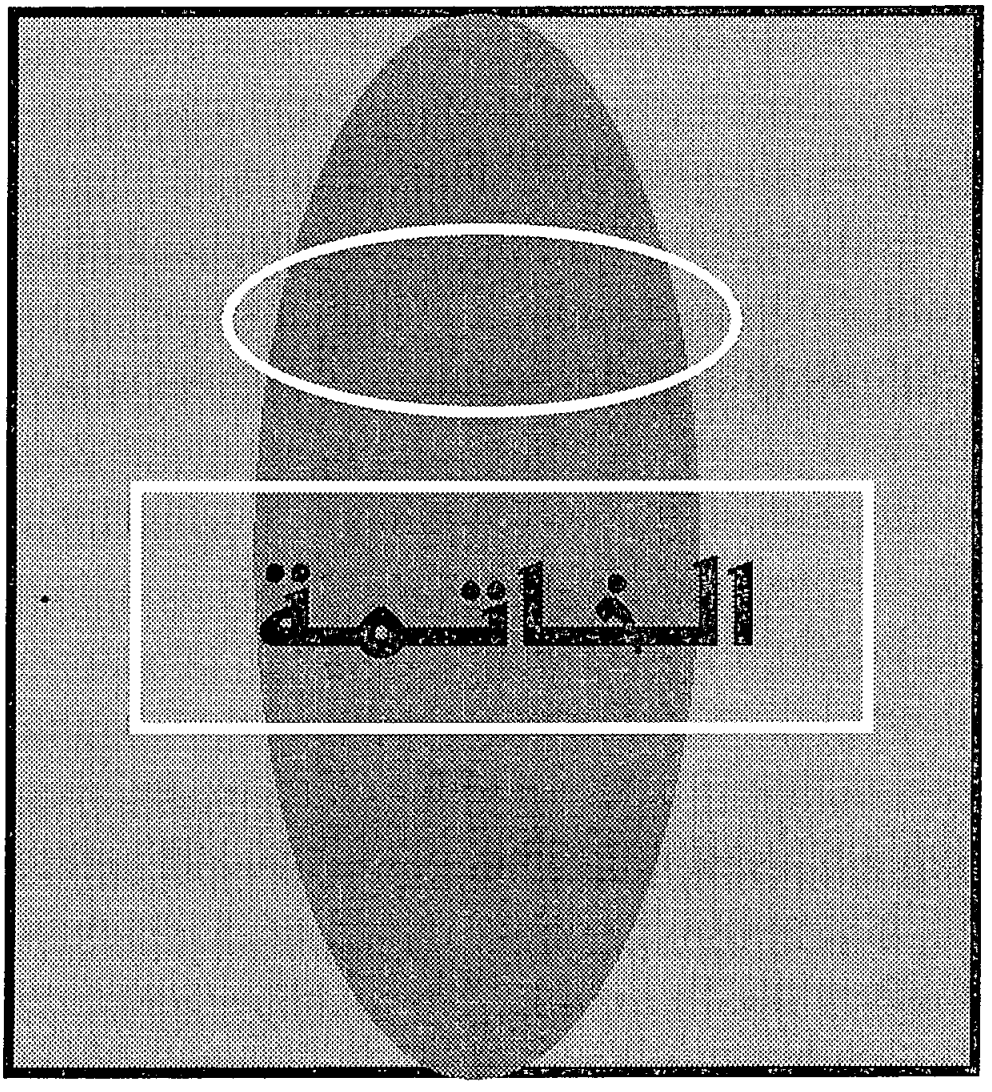
الرئاسة

الخاتمة

بعد أن أكملت بحمد الله وتوفيقاً منه سبحانه وتعالى البحث الذى بعنوان تفسير (سورة المطففين) أقدم تلخيصاً موجزاً لما حوته هذه السورة والتى تتكون من أربعة فقرات واضحة المعالم مرتبطة الصلاة

الفقرة الأولى :

وتبدأ من أول سورة المطففين (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) حتى الآية السادسة والتى تنتهى بقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ففى هذه الآيات تتحدث السورة عن المطففين الذين ينقصون فى الكيل والميزان من غير خوف من الله ولا وازع من ضمائرهم التى عميت من الطمع ، وكل همهم هو جمع أكبر كمية من الأموال لا يهمهم فى ذلك الطريقة التى تجمع بها هذه الأموال حلالاً كانت أم حراماً ، متناسين بذلك أنهم سوف يعودون للحياة مرة ثانية بعد أن يكونوا قد تركوا جميع أموالهم تلك ، قال تعالى ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [1] ، هذا تهديد لهم ، يوم يقومون لرب العالمين ليجدوا جزاء ما طففوا ، ونقصوا ليردوا الحقوق إلى أهلها فى ذلك اليوم الذى يقدر بخمسين ألف سنة مما يعدون ، وان الله يهون ذلك اليوم على المؤمنين مثل صلاتهم الفريضة .

---

[1] سورة التوبة ، الآية ٣٥.

الفقرة الثانية :

وتبدأ من الآية السابقة من قوله تعالى (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ) إلى نهاية الآية السابعة عشر عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ في هذه الآيات تناولت كتاب الفجار ، وموضعه تحت خد ابليس تحت الأرض السابعة ، وان هذا الكتاب وضع في مكان ضيق بعد أن كتبت فيه أعمالهم الشريرة ، وهو واضح مكتوب ، كالرقم في الثوب لا يمحى ولا ينسى ، مع توضيح الويل والهلاك للمكذبين بيوم القيامة والحساب ، والذى لا يكذب به إلا الكفار الذين تجاوزوا حد الكفر والضلال ، الذين عندما يسمعون القرآن وما جاء فيه من التحذير والتخويف والعذاب والنار وما ينتظر الفجار ، وفي المقابل ما للمتقين من الجزاء الأوفى ، والنعيم الذى لا ينفد يقولون هذه قصص الماضيين وخرافات الأولين ، كلا ليس القرآن كما يظنون ، بل غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب ، وطمست بصائرهم الآثام ، ما الجزاء الذى أعده الله لهم في ذلك اليوم الذى كانوا يكذبون به ، أنهم يؤمئذ لمحجوبون من رؤية رب العالمين ثم يساقون إلى الجحيم مع التعذيب والتهويل ليروا ما كذبوا به رأى العين .

الفقرة الثالثة :

وتبدأ من الآية الثامنة عشر عند قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى نهاية الآية الثامنة والعشرون .

ففى هذه الفقرة تناولت بالشرح والتوضيح حال الأبرار ، والمكان الذى أعده الله لهم فى جنات النعيم ، وكتابهم الذى حوى أعمالهم الحسنة الجميلة فى دار الفناء ، وهم مؤمنون بلقاء ربهم ، وكتاب الأبرار يشهده المقربون من الملائكة ، ثم وضحت الآيات فى الفقرة نعيم الأبرار فى الجنات وَهُمْ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ، ويتمتعون إلى ما أعد الله لهم جزاء عملهم وصبرهم ، ويعرفهم من ينظر اليهم ، أنهم من أصحاب النعيم ، وذلك للنضارة التى فى وجوههم .

وهم بعد ما أعد الله لهم ما لم تره عين ، ولم يسمعوا عنه ، ولم يخطر ببالهم من النعيم يسقون من شراب خاص بهم ، ختمت على أوانيه بالمسك لا يجرؤ أحد غيرهم من فض ختامه ليتنافس المتنافسون إليه وقد خلط هذا الشراب بماء ينزل من أعلى مكان فى الجنة ، وهذا دليل لمكانة الأبرار عند الله ، وهم المقربون لقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1] .

ثم انتقلت ببحثى إلى الفقرة الرابعة والأخيرة :

والتى تبدأ من الآية التاسعة والعشرين ، قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ إلى نهاية السورة عند قوله تعالى (هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) .

تصور الآيات الَّذِينَ أَجْرَمُوا ، ومع اجرامهم يسفهون من المؤمنين ويضحكون منهم ، لأنهم عابدون وساجدون وذاكرون الله ، فكانوا إذا مروا بهم يتغامزون بأعينهم ، وحواجبهم واكتافهم ، لبعضهم بغرض السخرية من

---

[1] سورة الواقعة ، الآيات ١١ - ١٢ .

المؤمنين ، وعند رجوعهم لأهلهم يتلذذون بذكر ما فعلوا معهم ، وهم يعنون هؤلاء المؤمنين ، ﴿إِنَّهُمْ ضَالُّونَ﴾ هل أرسلهم الله ليحفظوا أعمالهم ، كلا أنهم ليس بمسؤلين عن عباد الله لمحاسبتهم أو مراقبة أعمالهم .

ففى هذا اليوم اليوم العظيم الذى كذبوا به ، فقد جاء دور المؤمنين ليضحكوا منهم كما ضحكوا هم منهم فى الحياة الدنيا ، لكن ضحك المؤمنين يختلف عن ضحكهم ، لأن المؤمنين يضحكون عليهم وهم يرونهم فى شدة العذاب ، وهم على الأرائك ينظرون ، فلقد لقى كل فريق من الفريقين جزاء ما عملوا .

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [1] .

---

[1] سورة الاسراء ، الآية ٧ .

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

العدد	الآيـــــــــــــات	أسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين .....أولئك هم المفلحون)	البقرة	٢-٥	٨٤
	أن الذين كفروا سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون .....ولهم عذاب عظيم)	البقرة	٦-٧	٨٤
	(الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)		١٥-١٦	٧٩
	هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب.....ألخ)	آل عمران	٢٧	د
	(رسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس علي الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)	النساء	١٦٥	هـ
	(وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً الا وسعها وأذا قلتم فاعدلوا .....لعلكم تذكرون)	الانعام	١٥٢	٢
	(والي مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره .....ذلك خير لكم أن كنتم مؤمنين)	الاعراف	٨٥	٣٥
	(يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوي بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .....الي آخر الآية)	التوبة	٢٥	١٠٥
	للذين أحسنو الحسني وزيادة)	يونس	٢٦	١٠٣
	الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون .....)	" "	٦٢	٣٣
	(أنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه .....)		٢٤	د
	(ويا قوم أوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)	هود	٨٥	٣

	(ولا تجعل يدك ملولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً .....نحن نرزقهم واياكم ذلك خير وأحسن تأويلا)	الاسراء	٢٥	٣٦ م
	(أن أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)	" "	٧	١٠٣
	(ولقد كرمنا بن آدم وحملناهم في البر والبحر .....)	" "	٧٠	د
	(وانه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وأرحمنا وانت خبر الراحمين .....)	١١١	٩٩	
	(لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين)	الحجر	٤٨	١٠٣
	(أطلع الغيب أم أتخذ عند الرحمن عهداً)	مريم	٧٨	٥٩
	(رب أسراشرح لي صدري ويسر لي أمري)	طه	٢٨	ج
	(اخسئوا فيها ولا تكلمون)	المؤمنون	١٠٨	٩٩
	((وأنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وأرحمنا وأنت خير الراحمين .....الخ)	المؤمنون	١١١	٩٩
	(وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم)	الشعراء	١٨١	٢٠
	(ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)	الشعراء	١٨٣	
	(ولا فيها غول ولا هم عنها ينزفون .....)	الصافات	٤٧	٧١
	الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها	الزمر	٢٣	د
	من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها .....الخ	فصلت	٤٦	ج
	شرح لكم من الدين ما وصي به نوحا	الشوري	١٣	د
	ذق أنك أنت العزيز الكريم	الدخان	٤٩	١٠٢
	وأنهار من خمر لذة للشاربين	محمد	١٥	٧١
	(وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون)	الذاريات	٥٦-٥٧	ج
	(وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)	الرحمن	٩	٣
	(والسماء رفعها ووضع الميزان)	الرحمن	٧	١٣
	(أولئك م المقربون في جنات النعيم)	الواقعة	١١-١٢	١٠٧

	(لا يصدعون عنها ولا ينزفون)	الواقعة	١٩	٧١
	(يطوف عليهم ولدان مخلدون .....من معين)	الواقعة	١٧-١٨	٦٧
	(حور عين كأمثال .....بما كانوا يعملون)	الواقعة	٢٣-٢٤	٦٧
	(هماز مساءٍ بنميم)	القلم	١١	٨٥
	(وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة)	القيامة	٢٢-٢٣	٥٨
	(كان مزاجها كافورا)	الأنسان	٥	٧٢
	(كلوا وتمتعوا قليلاً أنكم مجرمون)	المرسلات	٤٦	٤١
	(أن للمتقين مفازا حدائق والمنايا وكواعب اترابا)	النبأ	٣١-٣٣	٦٧
	(وجوه يومئذٍ مسفة ضاحكة مستبشرة)	عيسي	٣٨-٣٩	٦٨
	(يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله)	الأنفطار	١٩	٥
	(أن الأبزار لفي نعيم وأن الفجار لفي جحيم)		١٣-١٤ ح	
	(فبشرهم بعذاب أليم)	الأنشقاق	٢٤	١٠٢
	(ويل لكل همزة لمزة)	الهمزة	١	٨٥

فهرس الاحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
١	من لايشكر الناس لا يشكر الله	
٢	كلكم بنوا آدم طف الصاع لم تملؤه	٦
٣	عن أبى داؤود الوزن وزن أهل مكة والمكيال مكيال أهل المدينة	١٢
٤	نزلت فى رجل بالمدينة يكنى (أباجهينة ...	١٤
٥	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [خمس بخمس نقضوا العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم]	١٤
٦	ان النبى صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم فى رشحه إلى انصاف اذنيه	٢٧
٧	إذا كان يوم القيامة ادنت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين	٣١
٨	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [تلا هذه الآية يوم يقوم الناس بمقدار تدلى الشمس]	٣١
٩	قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من ضيق يوم القيامة .	٣١
١٠	قال فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم	٣١
١١	فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فمنهم من يبلغ إلى صدره	٣٢

فهرس الأعـــلام

العدد	الاســـم	الصفحة
١	الاصمعـى ، الامـام العلامـة الحـافظ حجـة الأدب ، لسان العـرب أبـو سـعيد عبدالملـك بـن قريـب .	٣
٢	الفـراء ، الشـيخ العـالم الثقـة المحـدث أبـو الحسـن علي بـن الحسـين	١١
٣	أبـو حـاتم الـرازى محمـد بـن إدريس بـن المنـذر ابـن داؤود الامـام الحـافظ النـاقد شـيخ المحدثيـن الحنظلـى القطفـانى .	٣
٤	ابـن الماجشـون العلامـة الفقـه مفتـى المدينـة أبـو مـروان عبدالملـك .	١١
٥	المـبرد هـو إمـام النحـو أبـو العبـاس محمـد بـن يزيـد بـن عبدالأكـبر الازدى البصـرى النحـوى صـاحب الكـامل .	١٠
٦	قتادة بن دعامـة أبـو الخطـاب الدوسـى	٨٤
٧	عيسـى بـن عمـر الامـام المقـرئ العـابد أبـو عمـر الهمدانـى الكوفـى .	١٩

٨	السدى اسماعيل بن عبدالرحمن بن أبى كرمة الامام المفسر أبو محمد الحجازى	١٠
٩	مالك بن دينار البصرى ابو يحيى من رواه الحديث كان ورعاً يأكل من كسبه .	٢٨
١٠	النسفى الامام الحافظ المحدث أبو على الحسن ابن عبدلملك بن على بن موسى بن اسرافيل النسفى .	٢٨
١١	الزجاج هو إبراهيم بن السرى ويكنى أبا اسحق صاحب معانى القرآن ، توفى سنة ٣١١هـ .	٤٤
١٢	عبدالله بن عمر بن الخطاب أسلم وهو صغير ثم هاجر مع أبيه .	٣٢
١٣	كعب الأحبار هو كعب بن ماتع الحميرى اليمانى العلامة الحبر الذى كان يهودياً ثم أسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .	٤٦
١٤	الحسن بن محمد بن الحنفية الامام أبو محمد الهاشمى كان أجل الأخوين .	٥٢
١٥	إبن مجاهد هو محمد بن أحمد بن يعقوب أبو عبدالله الطائى البغدادى .	٦٦

١٦	الحسن بن يسار الحسن البصرى .	٧٢
١٧	الأخفش إمام النحو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخى ثم البصرى مولى بن مجاشع	٧٥
١٨	عبدالله بن عباس حبر الأمة وفقيه العصر وامام التفسير أبو العباس عبدالله ابن عم رسول ﷺ	٨٤
١٩	الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب الأموى أمير من رجالات بنى أمية فصاحة وعلماً	
٢٠	عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شيخ بن غار بن مخزوم بن صاهلة	٧٢
٢١	جعفر بن أبى طالب السيد الشهير الكبير الشأن علم المجاهدين أبو عبدالله بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .	
٢٢	الامام الشافعى محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبير	٥٩
٢٣	أبو أمامة الباهلى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزيل حمص روى علماً كثيراً وحدث عن عمر ومعاذ وإلى عبيدة روى عن خالد بن معدان والقاسم أبو عبدالرحمن .	

٢٤	سعيد بن جبير بن هشام الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهير أبو محمد .	٧٢
٢٥	البراء بن عازب بن الحارث الفقيه الكبير أبو عماره الأنصارى الحارثى المدنى نزيل الكوفة .	٤٣
٢٦	الضحاك بن قيس بن خالد الأمير أبو أمية	٦٢
٢٧	سالم بن أبى الجعد الاشجعى القطفانى مولاهم الكوفى الفقيه أحد الثقات روى عن شعبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجابر وابن عباس والنعمان ابن بشير وعبدالله بن عمرو وابن عمر وأنس وأبيه ابن أبى الجعد رافع وجماعة .	
٢٨	القرطبى هو محمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى الأندلسى ولد سنة ٥٢٠هـ	٩٦
٢٩	مالك بن انس بن مالك بن أبى بكر بن فرح الأنصارى امام دار الهجرة واحد الائمة الأربعة	١١

فهرس المراجع

المرجع	المؤلف
الدرر المنثور فى التفسير المأثور ، الجزء الثامن ، دار الفكر	إبراهيم حسن
أيسر التفاسير لكلام العلى القدير ، المجلد الخامس ، توزيع دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع	أبى بكر جابر الجزائرى
تفسير أبى السعود لرشاد العقل السليم أى مزايا القرآن الكريم ، دار احياء التراث العربى .	قاضى القضاة أبى السعود محمد ابن محمد العمارى المتوفى سنة ٩٥١هـ
تفسير ابن كثير ، المجلد الرابع ، دار الفكر والنشر والتوزيع	الامام أبى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى المتوفى ٧٧٤هـ
تفسير الكشاف ، المجلد الثامن ، الجزء الثانى	أبى القاسم جاد الله محمود ابن عمر الزمخشرى
تفسير بن عطية	أبى محمد عبدالحق بن عطية الاندلسى
تفسير روح المعانى ، دار احياء التراث العربى ، الجزء السابع عشر ، دار الطباعة ، المنيرة .	الألوسى البغدادى

تفسير أنوار التنزيل وحقائق التأويل ، الجزء الثانى	البيضاوى
تفسير الجلالين ، الجزء الرابع ، مطبعة احياء العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى	جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى
تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، الجزء الثانى	النسفى
تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل	الخازن
تفسير تيسير الكريم الرحمن من كلام المنان الجزء التاسع	القرطبى عبدالرحمن ناصر
تفسير المنار ، دار المعرفة ، بيروت	محمد رشيد رضا
التفسير الكبير ، للامام الرازى	ضياء الدين عمر المشهور بخطيب الرى
تفسير كتاب التسهيل فى علوم التنزيل	محمد بن أحمد جزئ الكلبى
تفسير البحر المحيط ، الجزء الثامن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع	لمحمد بن يوسف المشهور بأبى حيان الأندلسى
تفسير أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين مختار الشنقيطى

تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل ، طبع دار احياء التراث ، الكتب العربية لأصحابها عيسى البابى الحلبى .	محمد جمال الدين القاسمى
تفسير صفوة التفاسير ، الجزء الثلاثون	محمد على الصابونى
تفسير فتح القدير ، الرواية والدراية ، المجلد الخامس	محمد على محمد الشوكانى
تفسير فى ظلال القرآن ، المجلد السادس ، طبعة جديدة مشروعة	سيد قطب
تفسير القرآنى للقرآن ، المجلد الثامن ، دار الفكر العربى ، بيروت .	عبدالكريم الخطيب

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر وتقدير	ب
المقدمة	ج
التمهيد	
الفصل الأول : تطفيف الكيل والميزان	٢
المبحث الأول : معنى التطفيف فى الكيل والميزان	٩
المبحث الثانى : الكلام عن الكيل والميزان	٢٢
المبحث الثالث : عقوبة المطففين	٢٦
الفصل الثانى : مقابلة بين الفجار وأعمالهم والأبرار وأعمالهم	٣٨
المبحث الاول : تعريف الفجار	٤١
المبحث الثانى : تعريفات أعمالهم	٤٩
المبحث الثالث : عقوبة الفجار	٥٧
المبحث الرابع : تعريف الأبرار	٦١
المبحث الخامس : بيان أعمالهم	٦٦
المبحث السادس : جزاء الأبرار	٧٠

الفصل الثالث : بيان ذم الاستهزاء	٧٧
المبحث الأول : تعريف الاستهزاء	٨١
المبحث الثاني : حكم الاستهزاء	٩١
المبحث الثالث : ذم الاستهزاء	٩٥
الخاتمة	١٠٥
فهارس الآيات	١١٠
فهارس الاحاديث	١١٥
فهارس الأعلام	١١٦
فهارس المصادر والمراجع	١٢٠
فهارس المواضيع	١٢٣

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد
التاريخ